زيارات ليلية

وقصص أخرى من عالم الإثارة والغموض

م. عبد الوهاب السيد الرفاعي







الطبعة السابعة

(كلمه مهمة) :

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

زيارات ليلية
رواية وثلاث قصص قصيرة..

عبد الوهاب الرفاعي

تنويه..

يسألني القراء باستمرار ودون توقف عن مدى واقعية القصص التي أكتبها.. ولهؤلاء الأعزاء أقول:

أعتذر بشدة عن الإجابة لأسباب لا مجال لذكرها.

عبد الوهاب الرفاعي

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

زيارات ليلية.. «رواية»

ليس من السهل على الإطلاق أن يجلس فتى في الـ 18 من العمر ليسطّر للقراء تجاربه في الحياة.. فغالبا ما ينظر الناس لمن هم في مثل سني باستهتار وعدم مبالاة كوننا لا نعرف شيئا عن أي شيء.. وهذا بالطبع صحيح إلى حد كبير.. فما الذي سيقوله شخص في مثل عمري؟!.. قصة حب مع ابنة الجيران؟!.. هناك العشرات من القصص الشبيهة.. مشاكلي في المدرسة؟!.. إنها مشاكل معتادة تتكرر كل يوم وفي كل عام دراسي.. فقضايا ومشاكل المراهقين معروفة وشبعت بحثا ودراسة.. كما أن القارئ هذه الأيام ملول لا يريد قراءة قصص حب أو خواطر من طراز: الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان.. ومن تلك الجمل المكررة التي نقرؤها في كل مكان تقريبا.

فالقارئ الآن يريد الفائدة السريعة من الكتاب دون الدخول في التفاصيل والاستطراد دون داع.. لقد ولّى عهد الكاتب الكبير (أونريه بلزاك) إلى الأبد ومن الصعب جدا أن يعود!!!.. تسألون من هو (أونريه بلزاك)؟؟!!.. يااااااه.. نحن نعاني من مشكلة ثقافة بالفعل.. إنه كاتب وروائي عرف بحبه الشديد وولعه بالاستطراد في رواياته.. فكان بإمكانه تسطير صفحات كاملة في وصف سور الحديقة في قصته!!!.. تخيلوا هذا.. بل وكان يطلب من تلاميذه المشي 10 خطوات.. ومن ثم كتابة 20 صفحة مثلا في وصف مشاعرهم وما شاهدوه خلال تلك الخطوات القليلة([1]).

أعرف أنني أتصرف بتناقض.. فأنا ألوم الكتّاب المولعين بالاستطراد لكني أفعل الشيء ذاته الآن.. المعذرة.. إنه الارتباك دون شك!!!.. إذ لم أعتد اللقاء بهذا العدد الكبير من القراء.. هل ترون كيف يرتعش القلم في يدي وكأنه إبرة مخدر تمسك بها يد مدمن ضعيف الإرادة؟!.. أعرف.. أحتاج أن أهدأ قليلا.. دعوني أولا أحتسي قدحا من الشكولاته الساخنة.. شفففففف.. هذا أفضل.. هناك أيضا تلك الرائحة الجميلة التي تنبعث من الشموع المعطرة التي تملأ غرفتي والتي تمتزج بدورها بالموسيقى الهادئة التي تنبعث من جهاز التسجيل فتخلق جوا تريد أن تعيشه وتذوب فيه إلى الأبد.. ثم تصغي بعدها لهذا الهدوء الذي يعلمك الكثير.. وأنا شخصيا أحب أن أصغي أكثر بكثير مما أتحدث.. فأنت لا تتعلم شيئا عندما تتحدث.. أليس كذلك؟!!.

أخيرا أشعر بشيء من الاستقرار النفسي وثبات الأعصاب لأخبركم بقصتي التي عشت أحداثها منذ شهرين تقريبا والتي تستحق أن يقرأها الناس دون شك.. لأنها قصة غريبة جدا.. معقدة جدا.. يشوبها الكثير من الغموض والأجواء الكابوسية.. كما أن أحداثها تتغلغل في تلك الأعماق المجهولة.. أعماق النفس البشرية!!!.

ولكن.. قبل أن نبدأ.. أرجوكم أن تفسحوا لي المجال كي أحدثكم عن نفسي قليلا.. أعلم أن الأمر سيكون مملا على الأرجح.. لكن القصة مع الأسف الشديد لا تكتمل إلا لو عرفنا بعض التفاصيل عن بطلها.

لقد علمتم أنني شاب في الـ 18 من العمر كما ذكرت في البداية.. وقد كنت -أثناء مروري بقصتي هذه- في فترة الصيف وعلى أعتاب التخرج من المرحلة الثانوية (نظام المقررات).. حيث أرغب بعد

ذلك في الحصول على بعثة لدراسة الهندسة الكهربائية في (الولايات المتحدة الأمريكية).. وهو حلم أنتظر تحقيقه بفارغ الصبر.

أما عن صفاتي.. فأنا في الحقيقة لا أختلف عن أي شاب في مثل عمري.. وربما الأمر الوحيد الذي أمتاز به عن أقراني هو تلك الأمنية التي تسيطر على كل ذرة من عقلي.. وهي أن أصبح ثريا قبل أن أصل إلى سن الثلاثين.. خاصة بعد أن رأيت والدي يعيش في معمعة الديون والقروض لسنوات طويلة كحال معظم الأسر الكويتية.. حتى أنه كان على وشك الدخول إلى السجن في فترة من الفترات بسبب تراكم الديون على كاهله قبل أن تنقذه إحدى الجهات الخيرية مشكورة.. وتنقذ أسرته كلها بطبيعة الحال.. وهذا بالطبع أكسبني عقدة نفسية تجاه الفقر.. مع شعور دائم بعدم الأمان.

أعتقد أن هذه الأزمة كانت سببا مباشرا في حلمي بالثراء.. تسألونني كيف سأصبح ثريا؟!.. لا أعلم.. إنه أمر يكاد أن يكون مستحيلا تقريبا كما تعلمون.. وأنا أدرك ذلك جيدا.. ولكن.. لكل شيء ثمن في هذه الحياة.. إذ أستطيع أن أكون ككل الناس.. أستطيع أن أعود من العمل أو المدرسة لأخذ قيلولة طويلة تمتد لفترة المغرب.. ثم أقضي بقية اليوم في عالم الانترنت أو مشاهدة التلفزيون.. هذه أمور سهلة لا تصعب على أحد.. ولكن.. من يستطيع أن يتفوق ويتميز؟!.. من يستطيع أن يكون أفضل من الآخرين؟!.

هنا تأتي المثابرة والاجتهاد.. فحياة الأبطال ليست سهلة بكل تأكيد.. وإلا لما أصبحوا أبطالا.. أليس كذلك؟!!.. وأنا أريد أن أصبح بطلا في فيلم الحياة.. بل وأتخيل أحيانا كثيرة أن حياتي هي بالفعل فيلم شائك الأحداث وأنني البطل الأوحد.. حيث يشاهدني الناس طوال الوقت عبر شاشة عملاقة.. فأنتقي كلماتي وأتصرف بصورة حضارية مع الجميع حتى أعطي انطباعا مثاليا عن نفسي لدي المشاهد.. تصوروا هذا!!!.

أما علاقتي بوالدتي ووالدي فهي ليست على ما يرام مع الأسف.. خاصة مع طريقتهما في تربيتي.. فهما كعادة معظم أولياء الأمور.. يريان أن أسلوب التربية الأمثل هو المنع!!!.. ممنوع الخروج.. ممنوع التحدث طويلا في الهاتف.. ممنوع استخدام الانترنت لفترة طويلة.. إلخ من قائمة لا تنتهي من الممنوعات.. إذ يظن والداي أنهما بممارسة أسلوب المنع هذا قد قاما بدورهما على خير وجه في تربية أبنائهما!!!.

وبالطبع فإن تلك العزلة الإجبارية التي فرضت علي.. أشعرتني بعدم الانتماء نهائيا إلى هذه الأسرة.. خاصة وأنني الولد الوحيد بين 3 شقيقات تختلف ميولهن واهتماماتهن كثيرا عني بطبيعة الحال.. لذا تروني أعيش حياتي الخاصة في جنتي الصغيرة.. وهي غرفتي بالطبع.. إذ لا أخرج منها إلا نادرا رغم شجار والدتي الدائم معي لقضاء بعض الوقت مع أفراد الأسرة.

والواقع أن هذه العزلة قد جاءت بفائدة كبيرة جدا.. فبسبب وجودي المستمر في البيت وفي غرفتي تحديدا.. وبسبب قضاء أكثر أوقات فراغي مع صديقي العزيز (الكمبيوتر).. أصبحت لدي مع مرور الأيام خبرة لا بأس بها في البرمجة والتعامل مع أجهزة الكمبيوتر عموما.

لن أتحدث كثيرا عن أفراد أسرتي.. لأن لا دور لهم في القصة نهائيا.. إذ مررت بتجربتي الغريبة تلك في الإجازة الصيفية التي قضوها في (هولندا) بعد أن تحسنت أحوال والدي المادية منذ تسديد ديونه.. والواقع أن والدي لم يكن ليسمح لي بالبقاء وحيدا في البيت في الفترة التي جرت فيها أحداث قصتي.. لولا إلحاح شقيقاتي المستمر بالسفر.. وعلمه بضرورة بقائي في (الكويت) بسبب أخذي لبعض المواد الصيفية من أجل التخرج في الموعد المحدد.

في البداية كانت سعادتي لا توصف لسفر جميع أفراد الأسرة.. خاصة وأن المواد الدراسية في فترة الصيف كانت بسيطة لا تحتاج إلى دوام يومي أو إلى مذاكرة مستمرة.. فبدا الأمر وكأنني في إجازة طويلة يجب أن أستمتع في كل لحظة منها.. شاعرا أن البيت قد أصبح جنة حقيقية كوني أمتلكه طولا وعرضا في تلك الأيام.

كنت أقضي فترة الظهيرة بالدراسة.. ليتبع هذا الذهاب إلى السينما.. أو ربما الخروج مع أصدقائي بعض الأحيان واستغلال الحرية الكاملة المؤقتة التي أعيشها.. إلا أن هذه الحرية لم تنسني إطلاقا حلم الثراء الذي ظل يراودني.. وهو ما أعمل من أجله منذ هذه السن المبكرة دون أي تأجيل.. فالحياة بالنسبة لي شبيهة بعلبة كبيرة من الآيس كريم.. أحاول أن أحصل على أكبر قدر منها قبل أن تذوب.

لذا.. حاولت استغلال حريتي في فترة الصيف وخبرتي في أجهزة الكمبيوتر للبدء بمشروع صغير لا يتطلب أي رأس مال.. عندما وضعت رقم هاتفي النقال في إحدى الصحف الإعلانية مع إعلان يقول:

((فني متخصص في تصليح أجهزة الكمبيوتر.. الخدمة المنزلية متوفرة))

وهو إعلان نقرأ العشرات مثله يوميا في الصحف الإعلانية كما تعلمون.. لكنه مشروع -والحق يقال- مربح هذه الأيام ويأتي بنتائج جيدة ومرضية إلى حد كبير بالنسبة لشخص في مثل سني.. كما أن المهنة ممتعة بالفعل.. فهي تكسبني المزيد من الخبرة لكشف أسرار هذا الجهاز الرائع الذي أعشقه أكثر من أي شيء آخر.. وتساعدني أيضا على قضاء وقتي في عمل مفيد بدلا من التسكع في المجمعات التجارية طوال فترة الصيف كما يفعل معظم من هم في مثل سني بسبب وقت الفراغ الهائل الذي يعانيه الشباب في بلدنا الحبيب.. ولا ننسى بالطبع تلك اللذة الخفية في دخول بيوت الناس ومعرفة أسرارهم.. إنها غريزة بشرية لا يد لنا فيها!!!.

لقد كانت تلك الوظيفة المؤقتة -أو هذا المشروع الصغير- هو البداية الحقيقية لقصتي هذه.. البداية التي أدخلتني إلى عوالم أخرى لم أتوقع دخولها يوما.. عوالم ما وراء الطبيعة الرهيبة بكهوفها ومتاهاتها الشائكة المعقدة.. كيف؟!!.. تابعوا معي!!!.

بدأ الأمر في بدايات شهر يونيو.. عندما تلقيت ذلك الاتصال الهاتفي خلال فترة الظهيرة من رجل بدا من صوته وكأنه في منتصف الثلاثينات من العمر.. كان اتصالا معتادا من تلك الاتصالات التي باتت تصلني منذ نشر ذلك الإعلان.. وهذا ما بدا عليه الأمر بالفعل عندما أخبرني المتصل بلهجة جافة:

- لدينا جهاز كمبيوتر يحتاج إلى معاينة.. تعال وأصلحه.

قالها هكذا بكل بساطة وبهذه الطريقة الوقحة.. يبدو أن هذا الأحمق يظنني على الأرجح من جنسية عربية!!!.. وهذا ما يعيب مجتمعنا الكويتي الحبيب.. التكبّر.. التكبّر.. التكبّر الذي يتصف به عدد غير

قليل من الناس مع الأسف تجاه الجنسيات الأخرى.. لكنني لم أكترث كثيرا لأسلوبه الجاف بالطبع.. إذ أدرك جيدا أن ممارسة تلك المهنة البسيطة تتطلب لقاء أناس من مختلف الأشكال و.. الأخلاق!!!.. فوعدته بزيارة منزله الذي يقع في منطقة (الخالدية) خلال ربع ساعة فقط.. فأنا أسكن في منطقة (العديلية) القريبة لحسن الحظ.. وهو ما نسيت ذكره في مقدمة قصتي.

المهم أنني كنت هناك في الموعد المحدد.. لأجد نفسي أمام بيت كبير من تلك البيوت التي كانت توزّع على الناس أيام الخير.. أيام الستينات الجميلة التي أقرأ عنها كثيرا وإن لم أعشها لسوء الحظ.. بيت كبير بالفعل.. لكنه قديم جدا.. ويبدو أنه ظل كما هو منذ بنائه في فترة الستينات!!!.. إذ لا زال يحمل طراز تلك الفترة الجميلة من تاريخ (الكويت).. هل تعرفون التصميم القديم للشرفة التي تحيط بالدور الثاني بأكمله؟!.. الذين عاصروا تلك الفترة أو شاهدوا صورا قديمة لـ(الكويت) يعرفون تماما ما أعنيه.. بالمناسبة.. هناك عدد لا بأس به من البيوت القديمة المشابهة في منطقة (الخالدية).. ولكن.. هذا البيت تحديدا قد يكون الأقدم على الإطلاق.. وربما الأقدم في (الكويت) كلها!!!.

توقفت بسيارتي أمام البيت.. وخرجت منها حاملا الحقيبة التي تحوي العدة اللازمة لإصلاح أجهزة الكمبيوتر.. رحت بعدها أتأمل الحديقة الخارجية المهملة.. ثم البيت الذي يقف شامخا مهيبا خلفها وكأنه ينظر لكل شيء حوله بدونية واحتقار.. وطبعا لا ننسى الشمس الحارة -أو لنقل الحارقة- التي ترسل سهامها النارية علي بكل رقة لتشوي رأسي الذي تستطيع أن تقلي عليه بيضة لو أردت في تلك الفترة من السنة.

عندما وصلت إلى الباب.. لاحظت أنه لا يوجد جهاز مناداة.. وهو الجهاز الذي تحويه جميع بيوت (الكويت) تقريبا هذه الأيام.. بينما يوجد بالمقابل جرس قديم جدا.. ربما لا يزال أصحاب البيت يظنون أنهم في عام 1965!!!.. راقت لي الجملة فوجدت نفسي أبتسم رغم عني.. ضغطت على زر الجرس.. لا أحد يرد.. انتظرت ثواني قليلة.. ثم ضغطة أخرى على الزر.. لأسمع صوتا أنثويا يسألني عن هويتي بلغة إنجليزية سليمة.. إنها الخادمة دون شك.. و.. لحظات قليلة قبل أن تفتح الباب وأدخل البيت أخيرا.. هل أصفه لكم؟!!.. لا يوجد ما يذكر.. الفناء أو (الحوش) كما نطلق عليه قديم جدا ومهمل جدا.. مع وجود لمسات خجولة من الزمن الحالي.. كأسلاك الأطباق اللاقطة المهملة التي تهبط من على السطح وتدخل البيت عبر فتحات النوافذ.. وهناك أيضا سيارة (تويوتا) من طراز حديث نسبيا تقف داخل الفناء.

أدخلتني الخادمة إلى الصالة والتي لم تكن سوى امتداد لما هو في الخارج!!!.. أثاث قديم وبسيط.. غرفة الجلوس -إن صحت هذه التسمية- عبارة عن مفارش أرضية.. لكن البيت والحق يقال يشي بنظافة لا بأس بها من الداخل.. ولا أنسى أيضا الساعة الضخمة الموجودة على الحائط.. إنها من تلك الساعات الموجودة في أفلام الرعب.. من التي تجلب الأشباح وتوشك على إيقاظ الموتى!!!.

انتظرت قليلا قبل أن يأتي ذلك الرجل الذي اتصل بي.. إنه يبدو في منتصف الثلاثينات كما توقعت.. يرتدي ثيابا مريحة كحالنا جميعا في بيوتنا.. وينظر إلي بنوع من التعالي قبل أن يقول ببرود:

- الجهاز في غرفة المكتب.. تعال.

هكذا بكل وقاحة!!!.. هذه النظرة المتدنية معتادة في مجتمعنا لمن يمارس العمل اليدوي.. ابتسمت بيني وبين نفسي رغما عني.. هذا الأحمق لا يعرف أنني كويتي الجنسية مثله.. وهو أمر يغيظني فعلا.. فلا يجب أن أكون كويتيا أو أجلس خلف مكتب كي يعاملني الناس باحترام.. إلا أنني لم أكترث على كل حال.. وتبعته دون مبالاة رافعا رأسي بشموخ إلى غرفة المكتب التي ظننتها في البداية كأي غرفة مكتب أخرى.. لكنها.. لكنها في واقع الأمر كانت وكأنها عالم مستقل بذاته داخل هذا البيت!!!.. غرفة ضخمة جدا تحوي حماما خاصا بها.. أرض خشبية قديمة كانت فاخرة يوما لكن عفا عليها الدهر وشرب!!!.. ثلاثة جدران من الغرفة تحتلها أرفف الكتب.. كتب.. كتب.. كتب.. عددهـا هائل لا يصـدق.. فلتقطع ذراعي إن كان عدد تلك الكتـب أقـل مـن 5 آلاف!!!.. يا له من مكان جميل.. فالكتب بالنسبة لي كالمبارد التي تحك عقولنا التي ملأها الصدأ!!!.. فلتقطع ذراعي إن كان عدد تلك الكتب أقل من 5 آلاف كتاب.. هل قلت هذه الجملة قبل قليل؟؟؟!.. المعذرة.. فعدد الكتب أضاع صوابي.

رحت أتأمل المكتبة بمزيد من الدقة.. الكتب متراصة على أرفف خشبية موجودة داخل الحائط الذي يعلو إلى مترين ونصف المتر تقريبا.. حتى لتحتاج إلى سلّم للوصول إلى أبعد الرفوف.. بل هناك بالفعل سلّم خشبي كان فاخرا يوما من الأيام كحال كل شيء في هذا البيت.. هذا السلّم يحوي عجلات صغيرة حتى لا تضطر إلى حمله.. بل تدفعه دفعا.. أما الجدار الرابع فيحوي العديد من الصور العائلية!!!.. إنها عائلة عريقة دون شك.. هذا واضح من الصور.. لا شك أيضا أن غرفة المكتب هذه كانت أجمل غرفة هنا قبل أن يصل إليها طوفان الإهمال.. حتى شعرت أن هذا المكان يصلح تماما لقصة رعب من الطراز القوطي([2]).. بل إن جهاز الكمبيوتـر التالف كان يبدو غريبا وسط هذا الجو القديم.. و:

- هذا هو الجهاز.. سأتركك في الغرفة كي تصلحه.

أعادتني تلك الجملة إلى عالم الواقع.. فتنحنحت بحرج وأومأت برأسي موافقا..

لأذهب بعدها وأجلس على الكرسي الخاص بهذا المكتب الخشبي القديم.. لحظات أتأمل فيها الصور العائلية الرائعة بفضول وهو حق مشروع دون شك لأي إنسان في هذا العالم!!!.. ثم أنقل بصري بعدها إلى جهاز الكمبيوتر.. و.. إلى العمل.

أروع ما بجهاز الكمبيوتر أنك مهما أدخلت به من معلومات فإن حجمه لا يكبر أبدا.. فهذا الجهاز كالعقل البشري.. حتى أنني كثيرا ما تساءلت بيني وبين نفسي.. هل جهاز الكمبيوتر يفكر؟؟!.. وهذا السؤال بالمناسبة شبيه بمن يسأل: هل الغواصة تسبح؟!..

المهم.. وبعيدا عن خواطري وفلسفتي البلهاء.. لم يكن هناك الكثير ليقال.. مشاكل معتادة يعانيها كل جهاز كمبيوتر قديم نسبيا كهذا.. وقد تبين لي أيضا أن الأمر يتطلب شراء قطعة خاصة لإصلاح القرص الصلب (hard drive).. وهذا ما قلته لذلك الرجل صاحب البيت.. فأومأ برأسه ممتعضا.. وقال بحنق:

- حسنا.. فلتأتِ بالقطعة الناقصة إذا.

أخذت نفسا عميقا محاولا السيطرة على أعصابي أمام هذا الأسلوب السخيف.. ثم قلت بهدوء يشوبه بعض البرود:

- ولكن الجهاز قديم نسبيا!!!.. ربما ستكون هناك صعوبة في العثور على القطعة الناقصة.. عموما سأحاول.. ولكن يجب أن تمنحني بعض الوقت.. فحسب خبرتي المتواضعة في أجهزة الكمبيوتر.. العثور على تلك القطعة قد يتطلب أسبوعا على أبعد تقدير.

نظر إلي بحنق.. ثم قال بامتعاض واضح:

- لا يوجد حل آخر إذا!!.. سأنتظر.. ولكن.. حاول ألا تتأخر.

أومأت برأسي موافقا.. ثم استأذنته الخروج عائدا إلى البيت.. كما ترون.. قصة عادية جدا.. لكنها كانت بداية الشرارة.. بداية الشرارة لأحداث مريبة.. غريبة.. ورهيبة!!!.

لا زلت أتذكر ذلك اليوم جيدا.. عندما عدت إلى البيت لأتصل بعدها بشركة الكمبيوتر لطلب تلك القطعة الناقصة.. ثم جلست أتناول العشاء الذي أعدته لي الخادمة.. لا تنسوا أنني كنت وحيدا في البيت بسبب سفر جميع أفراد الأسرة.

ذهبت بعدها إلى غرفتي.. حيث جلست على الفراش أشاهد أحد الأفلام.. قبل أن أزور عالم الأحلام أخيرا.. ويا له من عالم جميل!!.. خاصة عندما ظهرت لي تلك الفتاة.. فتاة رائعة الجمال.. لا.. الكلمات لا يمكنها أن تصف هذه الروعة.. من المؤكد أن فتاة كهذه لا يمكن أن توجد على أرض الواقع.. هذا مؤكد.. ألم تظهر لي في الأحلام؟؟!!.. إنها تنتمي إلى عالم الأحلام الجميل إذا.. شعرها أسود جميل قصير ينسدل بنعومة ورقة حول وجهها الملائكي.. بشرتها بيضاء نقية.. ابتسامتها حزينة تشع من فمها المنمنم([3]) وتملأ الحلم بأكمله.

كانت تقف وسط الضباب وكأنها تقاومه بجمالها.. من أين أتى الضباب؟!.. لا أعلم.. إنه حلم.. والأحلام لا تخضع لمنطق كما تعلمون.. المهم أنها كانت واقفة تنظر إلي بأسى واضح.. في حين أحدق بها مشدوها بجمالها ورقتها.. لقد بدت لي في الحلم وكأنها.. وكأنها راقصة باليه بمنظرها وسط الضباب!!!!.. راقصة الباليه التي تمشي على أطراف أصابع قدميها الرقيقتين فتحسبها وكأنها تمشي على السحاب.. أو على السلم الموسيقي نفسه!!!.. كيف استطعت يا جميلتي أن تنقليني إلى هذا العالم الوردي؟؟!!.. هذه الفتاة جميلة كالحزن..كالأمطار.. كلحن ناي.. من الممكن أن أكون معها طوال العمر دون أن أشعر بالملل للحظة.. ثم أن.. مهلا.. مسار الحلم تغير فجأة.. إذ راحت الفتاة تردد كلمة غريبة وبصعوبة بالغة لم أفهم سببها.. الكلمة تتردد في ذهني بشكل مفاجئ.. (سترة).. (سترة)!!!.

ما الذي تعنيه تلك الكلمة؟؟!!.. لا أعلم.. و.. انتهى كل شيء!!!.. هكذا دون أي مقدمات.. انتهى الحلم فجأة كما يحدث عادة مع الأحلام.. واختفت الفتاة لتترك العاشق الولهان -وهو أنا بطبيعة الحال- حزينا.. بائسا.. وحيدا.

بالطبع حلم غير منطقي وغير مترابط كحال معظم الأحلام.. لكني رغم ذلك.. شعرت أن هناك أمرا غريبا بعد استيقاظي صباح اليوم التالي.. فقبل نهوضي من الفراش.. رحت لا شعوريا أسترجع

تفاصيل الحلم.. وتذكرت فجأة أن وجه الفتاة قد بدا مألوفا إلى حد ما!!!.. شيئا ما يخبرني أنني رأيتها من قبل.. أين؟؟!.. أين؟؟!.. ربما أنا واهم.. ربما.

نهضت من الفراش لآخذ حماما ساخنا كعادتي حين أستيقظ من النوم و.. شيئا فشيئا.. نسيت كل ما يتعلق بالحلم بعد ساعات قليلة.. وهذا أمر طبيعي كما تعلمون.. فجميعنا نحلم أحلاما رائعة نظن أننا لن ننساها أبدا.. إلا أنها في واقع الأمر تنمحي من أذهاننا بعد فترة قصيرة من الزمن.. لكن.. هل من الممكن أن ننسى الحلم لو تكرر مرة ثانية وثالثة ورابعة في الأيام التالية دون انقطاع؟!.. مستحيل بالطبع.. نعم عزيزي القارئ.. لقد أصبحت أرى تلك الفتاة كل ليلة في أحلامي ولـ 4 ليال متواصلة دون انقطاع وهي تردد نفس الكلمة الغامضة.. كلمة (سترة)!!!.. رغم أن تفاصيل الحلم الدقيقة كانت تختلف في كل مرة.

إن هذا يقتل عامل المصادفة قتلا.. لا يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة.. لا يمكن .. ولا داعي بالطبع أن أصف لكم مدى الخلل الذي أصاب تفكيري وهز كياني.. إن ما مررت به لهو شيء يفوق الوصف.. فأنا لم أقرأ أو أسمع بأحد في العالم تكررت أحلامه بهذه الصورة المتواصلة.. هل سمعتم أنتم عن شيء كهذا؟؟!.. لا أعتقد.

لم يكن هذا كل شيء.. فما زاد من حيرتي هو شعوري أن هذه الفتاة تحاول جاهدة أن تتحدث معي خلال الحلم.. إنني أرى شفتيها تتحركان.. تحاول أن تشرح لي أمرا ما بأسى.. لكن شيئا مجهولا يجعلني عاجزا عن الاستماع إليها بوضوح.. فألتقط كلمة هنا أو هناك وهي كلمات عادية لا تعني شيئا لو استمعت إليها مفردة.. سوى كلمة (سترة) الغامضة التي تتردد في ذهني دون انقطاع أثناء الحلم.. بالتأكيد هناك معنى لكل هذا.. ولكن أين أجد هذا المعنى؟!.

مشكلة الأحلام أنك تعجز خلالها عن التركيز على أمر معين.. فتشعر أن الأمور مشتتة ومختلطة ببعضها.. والسبب هو فقدانك لخاصية (الاستبعاد) أثناء الحلم.. والتي تمتلكها عادة في عالم الواقع.. ماذا أعني بكلامي هذا؟!.. حسنا.. إذا أخذنا مثالا على ذلك المتفرجين في مباراة لكرة القدم.. نجد أنهم قادرون على تركيز انتباههم على المباراة فقط كون الدماغ قادرا على استبعاد الكثير من المعطيات الأخرى التي ترافق كل مباراة.. كأهازيج وصيحات باقي المشجعين.. والهواتف النقالة التي ترن هنا وهناك أو صياح بائعي الحلويات والمشروبات.. إلخ.. بينما في الحلم يعجز دماغك عن القدرة على ممارسة خاصية (الاستبعاد) تلك.. ربما لهذا أعجز عن التركيز في الحلم لمعرفة ما تريد هذه الفتاة إخباري به.. هذا إذا كانت تحاول أن تخبرني بشيء أصلا!!!.

بحثت في كتب تفسير الأحلام الموجودة عندي في البيت.. لكن لا يوجد كتاب يشرح لك الحلم كاملا.. هناك كتب عديدة تخبرك أن الحلم بوفاة شخص ما قد يعني كذا.. والحلم بالسيارة مثلا قد يعني كذا.. وهذا لا يجيب على شيء.. فماذا لو حلمت بشخص يركب سيارة ثم يسافر إلى مكان ما وهناك يلتقي بشخص آخر ويركب معه القطار.. ثم.. ثم.. ثم.. إلخ.. هل رأيتم؟؟؟.. لا يوجد أحد يستطيع أن يفسر حلما بهذا التعقيد.. بل لا يوجد كتاب أصلا يفسر تكرار الأحلام بهذه الصورة المريبة.. أنا واثق أنني أول إنسان يمر بتجربة كتلك.. تجربة تكرار الأحلام!!!.. لقد شعرت حينها أنني أمام تجربة غريبة ونادرة جدا لم يسمع بها أحد أو يقرأ عنها في أي مرجع علمي.

ليت الأمور توقفت عند هذا الحد!!!.. فقد تكرر الحلم لـ 3 ليال أخرى دون انقطاع.. إلى أن مر أسبوع كامل على هذا اللغز.. وأصبحت على موعد يومي في عالم الأحلام مع هذه الفتاة الملائكية.. حتى شعرت بأنني.. بأنني.. بأنني أحببتها!!!!.. نعم.. لا مزاح في الأمر.. لقد أحببتها بالفعل.. وأصبحت أنتظر موعد النوم وكأنه موعد غرامي.

أعترف أن أقرب المسافات التي قطعتها نحو الحب كانت في لحظات الوحدة.. حين أندفع تحت الأغطية الثقيلة قبل النوم.. فأنفرد بإحدى قصصي المفضلة لأجوب عوالم الحب العجيبة وأعتصر قلبي بمرارة كوني لم ألتقِ بفتاة الأحلام بعد.. وإنني بالمناسبة أعشق المرأة.. لأنني أعتبرها المخلوق الوحيد الجميل في هذا الكون.. إذ تتحمل جنون الرجل.. تتحمل ولادته.. تتحمل تربيته.. تتحمل خيانته لها.. بل وتغفر له حين يعود إليها طالبا المغفرة.. أما الرجل فيحكم عليها بالإعدام عند أول خطأ!!!.

على كل حال وبعيدا عن الاستطراد.. ازدادت القصة غموضا وغرابة بعد أن استمرت تلك الفتاة بالظهور في أحلامي دون توقف.. لتحيط حياتي بلغز ضخم لا تفسير له.. حتى نسيت أصدقائي وحياتي الاجتماعية بأكملها.. بل ونسيت أنني أعيش في عالم اسمه (الواقع).. لأنني أصبحت أقضي معظم وقتي في النوم انتظارا لزيارة حبيبتي لي.

ولأن الحب يصنع المعجزات.. فقد كنت أفكر بمعجزة تساعدني في العثور على فتاة الأحلام هذه في عالم الواقع.. وكلمة فتاة الأحلام هنا واقعية جدا كما هو واضح.. كنت أفكر وأفكر.. حتى خطرت بذهني فكرة غريبة للغاية.. وطريفة بنفس الوقت.. لقد قادني إلى تلك الفكرة السؤال الذي ظل يدور في ذهني طوال الأيام الماضية.. وهو: هل هذه الفتاة من عالم الواقع.. أم أنها من عالم أحلامي؟!.. فلو كانت من عالم الأحلام.. لماذا أشعر أنني رأيتها من قبل؟!.. هل هي ظاهرة (ديجافو)([4])الشهيرة؟!.. لا أعلم.. لكن هناك احتمال لا يمكن تجاهله أن تكون الفتاة من عالم الواقع بالفعل.. المشكلة هي.. كيف تعثر على شخص لست واثقا أصلا إن كان موجودا في عالم الواقع؟!.. إنه أمر مستحيل تقريبا.. إلا لو تم هذا بمساعدة الشرطة.. نعم.. الشرطة!!.

كانت هذه هي الفكرة المجنونة التي خطرت في ذهني.. إنها فكرة لا تخلو من الطرافة كما ذكرت.. ولا تخلو من المخاطرة في نفس الوقت.. ولكن لا بد من المحاولة.. لا بد من تنفيذ خطتي وإقناع الشرطة بمساعدتي للعثور على هذه الفتاة إن وُجدت.. كيف سأقنع رجال الشرطة في البحث عن فتاة أحلامي؟!.. هذه هي الخطة.. فقط تابعوا معي.

في صباح اليوم الـ 12 من سلسلة ظهور حبيبتي المجهولة في أحلامي دون انقطاع.. استيقظت من النوم عازما على تنفيذ خطتي الصغيرة.. فذهبت بسيارتي إلى منطقة (السالمية) وتركتها هناك في أحد المواقف القريبة من المجمعات التجارية.. لأعود بعدها إلى البيت بسيارة تاكسي.. ثم أخذت سيارة والدي بعد ذلك.. وذهبت بها إلى مخفر منطقتنا (العديلية) والتوتر عندي قد بلغ ذروته.. لأن ما سأفعله غير قانوني ويقع تحت بند (إزعاج السلطات).. لكن لا يوجد حل آخر.. المهم أن يجدي ما سأفعله.. أتمنى ذلك فعلا.

دخلت المخفر محاولا أن أخفي توتري.. وإذ ببعض أفراد الشرطة عند الاستقبال معظمهم من ذوي الكروش.. و:

- كيف نستطيع أن نساعدك؟!

قالها أحد رجال الشرطة المتواجدين في الاستقبال.. التفت إليه.. حسنا.. سأكذب الآن كذبة صغيرة:

- لقد سرقت فتاة سيارتي.

نظر إلي مستغربا.. فأردفت مسرعا للتوضيح:

- كنـت في السـوق المركـزي التابـع للمنطقـة.. وعندما خرجت.. وجدت فتاة تفتح باب سيارتي وتهرب بها مسرعة.. حاولت اللحاق بها لكني لم أتمكن من ذلك.

قال الشرطي باستغراب:

- متى حدث كل هذا؟!.. وكيف فتحت الفتاة باب سيارتك؟!.. هل سرقت منك مفتاح السيارة مثلا؟؟!.

قلت بتوتر شديد سببه كذبي الواضح:

- حدث هذا قبل أقل من نصف ساعة تقريبا.. لقد تركت المحرك دائرا.. وذهبت إلى فرع المخبز في السوق المركزي.. فلمحت الفتاة وهي تركب السيارة وتهرب بها.

أردف برأسه متفهما.. وإن بدا مستغربا من عملية سرقة كهذه في منطقة آمنة لا تحدث فيها السرقات عادة.. بالطبع أنا وأنتم نعلم أنني أكذب.. المهم أن الشرطي قال وهو يمط شفتيه كناية عن استغرابه:

- تفضل في غرفة الضابط للإبلاغ عن سرقة سيارتك.

أومأت برأسي متفهما.. و.. لا يوجد ما يقال بعد ذلك.. تحقيق روتيني ممل.. إلى أن وصلت إلى أهم نقطة.. عندما سألني الضابط عن هوية السارقة.. وما إذا كنت أستطيع تمييز ملامحها .. هذا ما أريده.. هذا ما أريده تحديدا!!!!.. أخبرت الضابط بكل شيء.. أخبرته بملامح الفتاة كما أراها في أحلامي.. بيضاء البشرة.. شعرها أسود اللون قصير نسبيا.. دقيقة الملامح.. إلخ.. فوعدني بتعميم هذه الملامح لعلهم يعثرون على شيء.. نعم.. لو كانت الفتاة موجودة في عالم الواقع.. سيعثر عليها رجال الشرطة.. هذه هي خطتي بكل بساطة!!!.

المشكلة أنني لم أكتف بما قلته.. بل رحت بإصرار أصف المزيد من ملامح الفتاة بدقة شديدة على الضابط عل هذا يساعدهم في العثور عليها.. حتى أنه سألني فجأة وبصوت يشوبه بعض الشك:

- هذا غريب.. كيف تتذكر ملامحها بهذه الدقة؟!.

اللعنة.. لقد تخليت عن حذري!!!.. تنحنحت بارتباك واضح وقلت له أول عذر طرأ في ذهني:

- بصراحة.. بصراحة.. إحم.. إحم.. الفتاة كانت جميلة للغاية.. لهذا دققت جيدا في ملامحها.

لا أعلم إن كان هذا عذرا مقبولا.. لكنه أول عذر طرأ في ذهني!!!.. نظر إلي الضابط قليلا.. ثم مط شفتيه مبتسما وكأنه يقول في قرارة نفسه:

- يا لشباب هذه الأيام.

المهم أنه أخذ كلامي محمل الجد لحسن الحظ.. وشرب خطتي حتى الثمالة.. وبالطبع وعدني أنهم سيبذلون كل جهدهم للعثور على السيارة.. لأخرج بعدها عائدا إلى البيت والقلق ينهش قلبي خوفا من كشف خطتي.. كان لا بد من فعل كل هذا.. أريد أن أعرف إن كانت الفتاة حقيقية موجودة على أرض الواقع أم لا.. وأنا -بالمناسبة- لا أؤمن بالأحلام.. ولا أعتقد أنها تخبرنا بشيء كما يظن العديد من الناس.. بل أراها مجرد اضطرابات نفسية ناتجة عن تجارب الإنسان.. فمن لا يعرف التلفاز مثلا لا يمكن أن يحلم به.. لكن أحلامي المتكررة تلك قد بينت لي أنني أحمق كبير!!!.. وأن الأحلام تحوي الكثير من الألغاز بالفعل والتي لم يكشفها الإنسان بعد.

هل كانت هناك أي فائدة مرجوة من خطتي تلك؟!.. مع الأسف لا!!!.. فقد عثر رجال الشرطة على السيارة بعد يومين حيث تركتها في منطقة (السالمية).. ولم يكن الأمر عسيرا عليهم على أي حال.. فسيارة متوقفة ليومين متتاليين في مكان عام لا بد وأن تثير الشبهات.. المهم أنهم أبلغوني بمكان السيارة.. بل وحضر أحد رجالهم لمعاينة البصمات على أمل التوصل إلى هوية السارق.. لكني تنازلت عن كل شيء بالطبع وأصبت بخيبة أمل شديدة.. بعد أن عرفت من الشرطة أنهم لم يعثروا على فتاة بتلك المواصفات.. لكنهم سيواصلون البحث كما وعدوني.. لا أعتقد أن بحثهم سيسفر عن شيء.. إن الأمور تبدو أعقد من ذلك بكثير!!!.

لا يمكن أن أصف لكم مدى اليأس الذي أصابني.. هل هذه الفتاة غير موجودة سوى في أحلامي فقط؟!.. لماذا أشعر أنني رأيتها من قبل إذا؟!.. ولماذا تظهر لي كل يوم في أحلامي أصلا؟؟!.. لماذا تردد تلك الكلمة الغريبة (سترة)؟؟؟!.. ماذا تعني هذه الكلمة؟؟!.. تساؤلات أطرحها وطرحتها عدة مرات دون إجابة.

كنت على وشك أن أفقد الأمل تماما في العثور على هذه الفتاة التي استمرت بالظهور في منامي كل يوم ولأكثر من أسبوعين.. حتى أنني نسيت تماما أن لدي أسرة يقضي أفرادها إجازة الصيف خارج (الكويت) لولا أن والدتي اتصلت بي لتطمئن علي.. الأمر الذي أعادني قليلا إلى عالم الواقع.

كان هذا قبل أن يبدأ خيط ضئيل من الضوء يدخل في ذلك العالم المظلم الغامض الذي أعيشه.. فعندما كنت شارد الذهن أعبث بهاتفي النقال وهو ما نفعله جميعا بين الحين والآخر.. وقع بصري فجأة على رقم موجود في ذاكرة هاتفي.. هذا الرقم لا يبدو مألوفا.. من هو صاحب هذا الرقم؟!.. آه.. إنه ذلك الرجل صاحب البيت القديم في منطقة (الخالدية).. هل تذكرونه؟!.. عندها فقط.. انتفض جسدي بشدة وشهقت بقوة وعنف!!!.. يا إلهي.. يا إلهي.. يا إلهي!!!.. الآن تذكرت أين رأيت تلك الفتاة.. الآن فقط تذكرت كل شيء.. لهذا بدا لي وجهها مألوفا إلى حد ما في الحلم.. لقد رأيت صورتها في غرفة المكتب التي أبديت إعجابي وانبهاري بها في ذلك البيت القديم في منطقة (الخالدية)!!!.. هل تذكرون تلك الصور العائلية الموجودة في غرفة المكتب؟؟!!!.. نعم.. لقد كانت صورتها موجودة هناك على الحائط ضمن مجموعة من الصور.. لقد رأيتها ونسيت كل ما يتعلق بشأنها.. لكنها ظلت مخزنة في عقلي الباطن.. وعندما ظهرت لي الفتاة في أحلامي.. شعرت بأنني رأيتها في مكان ما.. لكني لم أتذكر أين.. إلى أن رأيت الرقم على شاشة هاتفي النقال.. عندها فقط خرجت صورتها إلى عقلي الواعي.. وتذكرت أخيرا.. تذكرت كل شيء!!!.

هل هذا يكشف سر ظهور الفتاة في أحلامي كل ليلة؟!.. بالطبع لا.. لكني على الأقل أعرف الآن أين أبحث عن حل لهذا اللغز الذي أحاط بحياتي!!!.. نعم.. يجب أن أزور البيت وأدخل تلك الغرفة مرة أخرى.. لا بد من ذلك.. لكن كيف؟!.. إنني لم أحصل بعد على القطعة الناقصة التي سأصلح بها جهاز الكمبيوتر.. والأهم من ذلك.. بأي حجة سأطلب من صاحب البيت معلومات عن الفتاة إن كانت شقيقته أو قريبته؟!.. وبأي حجة سأسأله عن معنى كلمة (سترة) إن كان يعرف معناها أصلا؟؟!!.. لا أعلم.. لكن يجب على الأقل أن أزور البيت وأدخل غرفة المكتب لأشاهد الصور الموجودة على الحائط بدقة أكبر.. ربما سيقودني هذا إلى شيء.. سأتصل بذلك الوقح الذي طلب مني إصلاح جهاز الكمبيوتر لأخبره أنني عثرت على القطعة الناقصة.. نعم.. سآتي بقطعة مستعملة من أحد الأجهزة الخردة الموجودة عندي في غرفتي.. لا يوجد غش أو نصب في الموضوع لأن المقابل المادي الذي سأطلبه ضئيل جدا.

و.. بدأت أفكر مرة أخرى بكل ما رأيته في ذلك البيت.. أمور كثيرة لم أنتبه لها في بادئ الأمر.. لكن الآن وبعد معاودة التفكير أجدها تثير التساؤلات بالفعل.. فبالإضافة إلى الخادمة الآسيوية التي فتحت لي الباب.. لم يكن هناك أحد آخر مقيم في البيت سوى ذلك الرجل المتعجرف!!!.. أو هذا ما بدا لي على الأقل.. إذ لم يكن هناك أي أثر لباقي أفراد الأسرة.. ثم.. الملامح القديمة لكل شيء تقريبا من الداخل والخارج.. أسئلة كثيرة لا أملك إجاباتها.

كانت خطتي هي مراقبة كل شيء من الخارج وانتظار خروج ذلك الرجل المتعجرف.. ثم سأتصل به على هاتفه النقال لأخبره أنني حصلت على القطعة الناقصة وأنني متواجد الآن عند بيته لتركيبها.. قد يلومني على عدم الاتصال لأخذ موعد مسبق مثلا.. لكنه لو فعل فسأخبره أنني كنت في المنطقة بالصدفة وقد وجدتها فرصة سانحة لتصليح جهازه.. خاصة مع ادعائي أنني حصلت على القطعة الناقصة اليوم فحسب.. بالطبع سيخبرني أنه غير موجود الآن.. ولكن.. ربما سيطلب من الخادمة أن تسمح لي بالدخول.. وهذا ما أتمناه.. هذا ما أعتمد عليه في نجاح خطتي.. أريد أن ألقي نظرة طويلة على الصور المعلقة على الحائط في غرفة المكتب و.. أريد التحدث مع الخادمة أيضا!!!.. نعم.. أسئلة كثيرة سأطرحها عليها.. لا شك أنها تعرف شيئا.. لا شك في ذلك.

قررت وضع خطتي قيد التنفيذ.. فنهضت مسرعا لارتداء ثيابي وقد شعرت بالحماس يشتعل في جسدي.. ثم خرجت بالسيارة إلى ذلك البيت الغامض.. دقائق قليلة قبل أن أصل إليه.. كيف أعرف إن كان صاحب البيت موجودا أم لا؟!.. لا أعلم.. هذه نقطة لم أضعها في الاعتبار.. ففي المرة السابقة رأيت سيارته في الفناء الداخلي.. لذا لا توجد أي وسيلة لمعرفة أنه خارج البيت الآن أم لا.. لا بد من الانتظار والمراقبة فحسب.. هذا كل ما أستطيع فعله.. اللعنة.. كم أكره هذا.. الأمور مبهمة تماما ولا يوجد شيء واضح.. لكن.. لم يطل انتظاري أكثر من ساعة لحسن الحظ.. ساعة واحدة فقط قضيتها في محادثة أحد أصدقائي عبر الهاتف النقال لقتل الوقت.. قبل أن يبتسم الحظ فجأة وأرى الخادمة تفتح بوابة البيت ليخرج ذلك الرجل الوقح بسيارته الـ(تويوتا).. هذا رائع.

انتظرت دقائق قليلة لحين ابتعاده.. ثم أمسكت بهاتفي النقال وطلبت رقمه.. و:

- آلو.

تنحنحت وقلت:

- مرحبا.. أنا فني الكمبيوتر الذي زارك منذ ما يقارب الأسبوعين.. لقد أخبرتك أن جهازك يحتاج استبدال قطعة.. هل تذكر؟!.

رد بوقاحة واضحة:

- تأخرت كثيرا في اتصالك.

سقط قلبي بين قدمي.. أرجو ألا يكون قد استعان بأحد غيري لإصلاح جهازه.. فهذا المنفذ الوحيد لدخول البيت مرة أخرى.. لكني تمالكت نفسي وقلت بلهجة مهذبة للغاية:

- لقد عثرت على القطعة الناقصة التي أخبرتك عنها.. أستطيع إصلاح جهازك الآن إن أردت.. إنني متواجد في منطقتكم.

كدت أن أطير فرحا حين قال بوقاحته المعهودة وبعد لحظات من التفكير:

- حسنا.. أنا لست متواجدا في البيت الآن.. لكن تستطيع أن تذهب وتطلب من الخادمة الدخول كي تصلح الجهاز.. سأتصل بها لأخبرها أنك قادم.. وسأخبرها أن تدفع لك أجرك.

هذا رائع.. رائع.. رائع.. إنه يوم سعدي بلا شك.. قلت بلا مبالاة محاولا إخفاء فرحتي:

- وهو كذلك.

وهكذا خرجت من السيارة وقلبي يتواثب كالقرد من شدة الفرح والإثارة والتشويق الذي بات يطل من كل ركن من حياتي هذه الأيام.. حتى سيطر علي ذلك الشعور المعتاد بأنني بطل في فيلم أجنبي حيث يشاهدني الملايين عبر الشاشة الآن.. اتجهت ناحية البيت بثقة شديدة واعتداد اكتسبتهما من نجاح خطتي.. وضغطت على زر الجرس.. لحظات قليلة قبل أن تفتح لي الخادمة الباب.. فقلت لها باحترام وبلغة إنجليزية لا بأس بها أجدتها من خلال معاهد اللغة التي التحقت بها ومشاهدتي الدائمة للأفلام الأجنبية:

- لقد طلب مني السيد صاحب البيت الدخول لإصلاح جهاز الكمبيوتر..

هزت رأسها موافقة وبدا أنها على علم بوصولي بالفعل.. فتنحّت عن الباب لأدخل.. ولم أكذب خبرا.. دخلت على عجالة وتبعتها متجها إلى غرفة المكتب ولا يشغل ذهني سوى أمر واحد فقط.. أمر تلك الفتاة الملائكية التي تظهر في أحلامي.. سأرى صورتها أخيرا.. أخيرا.

دخلت غرفة المكتب.. وطلبت من الخادمة شرابا ساخنا.. بالطبع لكي تخرج وتسمح لي بالبقاء وحيدا.. فابتلعت الطعم بسهولة وتركتني في الغرفة.. وما إن خرجت.. حتى رحت كالمجنون أنظر إلى ذلك الجانب من الحائط والذي يحوي الصور العائلية العديدة.. أنظر إلى الصور باهتمام شديد.. بعضها بالأسود والأبيض.. وبعضها بالألوان.. إلى أن توقف نظري وقلبي عند تلك الصورة تحديدا.. صورة جميلة بالألوان للفتاة التي رأيتها في منامي.. نعم.. إنها هي.. هي دون شك!!!.. يا له من جمال.. يا لها من روعة!!!.. إنك رائعة يا جميلتي.. كانت ترتدي فستانا رقيقا جعلها تبدو كالفراشة..

لماذا تلبسين مثل الفراشات يا أميرتي؟؟!.. إنها مخلوقات حزينة.. ترينها لدقيقة.. ثم تذهب.. لماذا لا تلبسين شيئا آخر؟!.. شيئا دائما.

كنت واقفا مشدوها أتأمل هذا الجمال أكثر وأقول بخفوت مهيب:

- يا حبيبتي.. نحن نراك مجرد صورة.. فهل ترينا في المقابل مجرد صور متحركة أيضا؟!.

هكذا كنت أخاطب نفسي وأنا أنظر إلى الصورة وأتحسسها بحنان بالغ حتى امتلأت عيناي بالدموع رغما عني.. كم أعشقك يا حبيبتي.. كم أشتاق إليك!!!.. كم أحبك يا أجمل من وقعت عليها عيناي رغم أنني لا أعرف حتى اسمك.. شعرت فجأة أن موسيقى فيلم (تيتانيك) تعزف في المكان لكن لا يسمعها سواي!!!.. مشكلتي أن لدي الكثير من الحب لأقدمه.. ولكن لا أجد الفتاة التي أقدم لها هذا الحب.. هذا بالطبع قبل أن يظهر هذا الملاك في حياتي فجأة.. لقد تقاربت روحانا لفترة لا بأس بها بسبب ظهورها المتكرر في أحلامي.. حتى بدا لي وكأن بوسعي أن أشم رائحة روحها في هذا المكان.. ليس من.....

- ماذا تفعل؟!.

كان هذا صوت الخادمة الذي أعادني إلى كوكب الأرض.. نظرت إليها بشيء من الحرج.. ومسحت دموعي باضطراب شديد وسط نظراتها المتسائلة!!!.. ثم قررت أن أفعل ما جئت من أجله.. أن أكشف كل أوراقي أمامها بالطبع.. فتنحنحت.. وأخرجت من محفظتي 50 دينارا دفعة واحدة.. وقلت للخادمة بكل وضوح وصراحة:

- هذا المبلغ لك.. تستطيعين أخذه مقابل حصولي على بعض المعلومات.. أنا لست هنا بصدد السرقة أو لأي أمر غير قانوني.. كل ما أطلبه هو أن تجيبي عن بعض الأسئلة!!!.

بدت المفاجأة واضحة على ملامحها في البداية.. لكنها تمالكت نفسها وهزت رأسها بقوة دون أن تنظر إلى المال.. ثم طلبت مني بازدراء واضح الانتهاء من عملي والرحيل.. اللعنة!!!.. لم أتوقع هذا.. أخرجت المزيد من المال.. ثم قلت لها بحزم شديد وأنا أنظر إلى عينيها مباشرة:

- صاحب البيت يعرف أنني هنا.. لذا فلا خوف من وجودي.. كما أنني سأعطيك راتب شهرين لقاء الإجابة عن أسئلتي.. أرجوك.. لا داعي أن تخشي شيئا.. لقد أخبرتك أنني لست هنا للسرقة أو لأي شيء غير قانوني!!!.. ولن يعرف مخلوقا بما جرى بيننا.. أقسم لك.. إنها فرصة لا تتكرر.. و.. و.. و.. إلى أن وافقت أخيرا وبتردد شديد.

كان أول سؤال:

- منذ متى تعملين هنا؟؟!..

قالت بحذر واضح:

- منذ 6 سنوات تقريبا.

رائع.. لا شك أنها تعلم شيئا.. سألتها بعد ذلك بقلق لم أفهم سببه:

- هذه الفتاة التي في الصورة.. أين هي؟!.. ما اسمها؟!.

تخلت عن حذرها فجأة.. وابتسمت بخبث وكأنها فهمت أخيرا ما أود الوصول إليه:

- آآآآه.. (شادن).. لقد جئت متأخرا يا أستاذ.. فقد توفيت المسكينة منذ 3 سنوات.

- ماذا؟؟؟؟!!!!!.

قلتها وقد برقت عيناي بقوة.. (شادن)!!!.. حبيبتي (شادن).. أخيرا عرفت اسمك.. يا له من اسم حالم.. يا له من اسم رقيق رغم أنني لا أعرف معناه([5]).. هذا هو اسمك إذا يا عزيزتي.. شعرت بدفقات هائلة من الحنان تصب في ينابيع قلبي.. ولكن.. مهلا.. تقول أنها توفيت؟!.. حبيبتي (شادن) توفيت؟!.. لا يمكن!!.

سألت الخادمة بلوعة حقيقية:

- كيف؟!.. ومتى؟!.. ولماذا توفيت؟!..

ردت وهي تلوح بيديها.. وكأن هذا السيل من الأسئلة يشتت ذهنها:

- أخبرتك متى.. أما كيف.. فقد ماتت منتحرة!!!.

اتسعت عيناي دهشة حتى كادتا أن تخرجا من محجريهما.. لم أتوقع ذلك أبدا.. دائما نقرأ عن المنتحرين في الصحف ونحسبهم من عالم آخر بعيد تماما عن عالمنا.. أما الآن.. فأنا متواجد فعليا في بيت فتاة منتحرة!!!.. شعرت بغصة في حلقي.. وبدا هذا واضحا على ملامحي التي امتلأت بالأسى فجأة.. فسألت الخادمة بحزن واضح:

- هل.. هل أنت متأكدة؟!.

مطت شفتيها وهي تقول:

- لقد وجدناها في فراشها صباح ذلك اليوم وقد فارقت الحياة بعد أن قطعت شريان معصمها!!.

شرد ذهني تماما وأنا أستمع إليها.. انتحرت منذ 3 سنوات؟!.. هذا الجمال الآسر ذهب إلى الأبد ولن يعود؟!.. كم كنت أتمنى أن يكون هذا الملاك على قيد الحياة.. كنت أظن في البداية أن هذه الأحلام المتواصلة هي إشارة من السماء كي تساعدني في العثور على فتاة أحلامي.. لكن يبدو أن الأمر أشد تعقيدا بكثير من ذلك.

سألت الخادمة بحزن:

- لماذا انتحرت؟!.. وكم كان عمرها حين أقدمت على الانتحار؟!.

قالت بدورها بشيء من الحزن وكأنها تسترجع ذكرى مريرة:

- كانت في الـ 16 من العمر.. أما لماذا انتحرت.. فهو سؤال تطول الإجابة عليه.. فهذا البيت شهد في الماضي العديد من المشاكل والنزاعات العائلية التي عاصرت بعضها بنفسي.. قبل أن ينهي الزمن

كل شيء كما يحدث دائما.. والآن لا يعيش هنا سوى شخص واحد فقط.. وهو السيد (ناصر) الذي قابلته بنفسك عند مجيئك لأول مرة.. وأنا بالطبع.

كنت أظنها ستسترسل في الكلام.. لكنها سكتت فجأة.. فتوسلت إليها أن تخبرني بكل شيء ووعدتها بالمزيد من المال إن أرادت.. نظرت إلي طويلا وكأنها تزن الأمر بعقلها.. ثم تنحنحت وقالت بتركيز شديد وكأنها ستخبرني بقصة طويلة ومعقدة:

- منذ وصولي إلى هذا البيت عام 2002.. لاحظت أن الأمور ليست على ما يرام.. فقد كان يعيش هنا رجل عجوز طيب القلب إلى حد لا يمكنك تصوره.. لكن صحته كانت متدهورة.. إذ اشتعل رأسه بالشيب.. وتقطع جسده من الأمراض في أواخر أيام عمره الذي تجاوز الـ90 عاما.. حتى بات يتناول أطنانا من الأدوية طوال اليوم.. أدوية ارتفاع الضغط.. أدوية السكر.. أدوية تصلب الشرايين.. أدوية التهاب المفاصل.. محاقن ومحاليل وريدية.. كل هذا من أجل أن يتقدم نحو خط النهاية ببطء!!!.. ولم يكن لديه سوى ولد واحد توفي هو وزوجته في حادث سيارة.. وترك له حفيدين.. أحدهما (شادن).. لقد كانت المسكينة صماء وبكماء.. فلا تتكلم ولا تسمع!!!.. وقد شعرت وعرفت منذ طفولتها أنها تختلف عن باقي الناس.. فعزلت نفسها تماما عن الجميع.. وأصبحت لا تخرج من البيت ولا تترك أحضان جدها إلا للذهاب إلى المدرسة.. أما الحفيد الآخر فهو شقيقها (ناصر) الذي طلب منك إصلاح الكمبيوتر.. والذي يعيش هنا وحيدا.. وهو في الواقع شاب مستهتر وقح يشرب الخمر كثيرا ويقضي وقته كله تقريبا مع فتيات وضيعات يأتي بهن إلى هنا بين الحين والآخر دون حسيب أو رقيب.

سكتت قليلا لتلتقط أنفاسها.. ثم زفرت بقوة وهي تقول:

-لا أعتقد أنه أكمل دراسته.. ولا أعرف ما يفعله لكسب المال.. فهو يسهر كثيرا في الخارج.. ولا يعود إلا في وقت متأخر جدا من الليل لينام حتى فترة الظهيرة.. هذه هي حياته.. إنني أكرهه إلى حد لا يمكنك تصوره.. وأقولها لك بكل صراحة.. هذا الرجل مثال مجسد للشر!!!.. لقد كان يهمل جده المريض تماما ولا يوليه هو أو شقيقته أدنى رعاية.. تصور أنه كان يتهجم على جده بالسباب أحيانا حين يطلب منه أن يأخذه إلى المستشفى للمراجعة.. بل وكان يجاهر لصديقاته بأطماعه علنا في الحصول على البيت بعد وفاة جده دون أن يخشى لومة لائم.. ولولا بعض العقل وربما الخوف من العقاب لفعلها بيده وعجّل بجده نحو مصيره!!!.. أما (شادن) فكانت كالملاك بالفعل.. تحب جدها بجنون وتقدم له الدواء وتهتم لأمره وترعى صحته على مدار الوقت.

سكتت قليلا وهي تنظر إلي وكأنها تريد معرفة رأيي بما سمعته.. فسألتها متأثرا:

- هل عاصرت الأبوين؟!.

قالت ببساطة:

- لقد توفيا قبل قدومي إلى (الكويت) فلا أعرف عنهما شيئا.

سكتت مرة أخرى أمام نظراتي المتحفزة.. ثم أردفت:

- كنت أقول أن (شادن) كانت تهتم كثيرا لأمر جدها.. بينما يعيش شقيقها -بالمقابل- حياته الخاصة ولا يهتم نهائيا لأمر جده أو شقيقته.. فظل الحال بهذه الصورة قبل أن يأتي ذلك اليوم المشؤوم قبل 4 سنوات تقريبا ويتوفى الجد بعد أن فتكت به الأمراض.. كان يوما حزينا لا يمكن أن أنساه.. لا زلت أذكر بكاء (شادن) الصامت ونحيبها الذي يمزق نياط القلوب.. تصور أنني أنا التي لا أرتبط مع الأسرة بأي صلة بكيت كثيرا.. في حين لم يذرف هذا الوغد دمعة واحدة.. ولا أبالغ لو قلت أنه كان سعيدا لوفاة جده كونه سيرث البيت من بعده!!!.. لا تسألني ما كان ينوي فعله بشقيقته.. لأنني أنا نفسي كنت أتساءل عن مصيرها بعد رحيل صمام الأمان الوحيد عن حياتها.. لقد شعرت أن الفتاة ينتظرها مصير أسود بالفعل.. ولم أستبعد أن يطردها شقيقها بنفسه من البيت.. لكن الأمور اتخذت منحى آخر.. خاصة بعد أن عبث (ناصر) بأغراض المرحوم وراح يجرد كل ما في غرفته ليعرف إن كان الجد قد خبأ أموالا هنا أو هناك كما يفعل العجائز عادة.. لم يكن الجد يملك شيئا يذكر من أرصدة في البنوك أو ما شابه.. ولكن.. كانت هناك تلك الوصية التي كتبها بخط يده ويتحدث فيها عن ثروة هائلة يخفيها في هذا البيت بمكان مجهول ويتمناها لحفيدته فقط!!!.. ولا يريد شيئا منها لحفيده الجاحد كما ذكر في وصيته.. المشكلة أن لا أحد يعرف ما هي تلك الثروة.. إذ وصفها الجد بكلمة واحدة فقط.. كلمة واحدة.. وهي (سترة)!!!!.

انتفضت هنا وشهقت بعنف!!!.. واتسعت عيناي على آخرهما عند سماعي لتلك الكلمة.. إنها الكلمة التي ترددها (شادن) عندما تظهر لي في أحلامي.. ما الذي تعنيه بحق السماء؟؟!!.. أكاد أجن لمعرفة معناها.. بدا الحنق واضحا على ملامحي.. فانعكس حنقي هذا على كلامي حين سألت الخادمة فجأة وبحدة:

- كيف عرفت كل هذا؟؟!!.. يبدو لي أنك تعرفين أدق التفاصيل عن تلك العائلة.

مطت شفتيها وكأنها تستنكر حدتي.. لتقول ببساطة:

- إنني أعيش هنا منذ 6 أعوام تقريبا.. وقد عملت قبلها في (دبي) لفترة طويلة.. لذا فأنا أجيد العربية والإنجليزية بشكل جيد.. ثم أن لا أحد يعرف أسرار البيوت مثل الخدم.. ثق في هذا.. كما أنني أسمع الوغد (ناصر) كثيرا وهو يتحدث عبر الهاتف مع صديقاته ويخبرهن أكثر ما أخبرتك به غير مبال بسماعي لكلامه.

إنها محقة في كلامها.. فلا أحد يعرف أسرار البيوت سوى الخدم.. ولا ننسى المقولة الشهيرة: (خادم القوم.. سيدهم).. فكم مرة تشاجر أبي مع أمي دون أن يعير أحدهما انتباها للخادمة التي كانت تستمع إلى كل شيء دون شك.

أومأت برأسي متفهما.. ثم نظرت إليها وكأنني أطلب منها المزيد من المعلومات.. فنظرت إلي بالمقابل وهي تنتظر مني أن أسألها.. لأقول باهتمام:

- كنت تتحدثين عن الثروة التي تركها الجد.. ما هي هذه الثروة؟!.. وماذا تعني كلمة (سترة)؟؟!.

ردت وهي تزفر بحرارة:

- كما قلت لك.. لا أعلم.. لم يذكر الجد ماهية الثروة؟؟!.. ربما.. أقول ربما ظن أن حفيده (ناصر) سيظفر بالبيت والثروة وسيحرم شقيقته من كل شيء.. فأراد أن يكتب وصية مبهمة حتى يعطي لحفيدته فرصة ولو ضئيلة بالعثور عليها والاحتفاظ بها لنفسها.. لم يكن بوسعه أن يقدم لها شيئا آخر.. فهو طريح الفراش يعاني العديد من الأمراض.. وليس له أقارب إطلاقا.. إنني أجدها معجزة حقيقية أن يعيش الجد كل هذه الأعوام قبل أن يموت بسلام ويرحل عن هذا العالم.

انتهت من كلامها.. لكني ظللت أنظر إليها طويلا بشرود واضح.. جو من الصمت الحزين ساد المكان.. قبل أن أقطع حاجز الصمت وأسألها بحزن ومرارة:

- وماذا جرى بعد أن عثر (ناصر) على الوصية؟!.

قالت بغضب:

- لقد أثار الأمر جنونه.. وراح يبحث كالمسعور عن تلك الثروة.. ويطلب مني مساعدته في قلب البيت رأسا على عقب.. كما ظل يبحث ويبحث عن معنى واضح لكلمة (سترة).. هذه الكلمة التي أصبحت لغزا يكاد أن يدفع (ناصر) عمره لمعرفة معناها.. بل وسمعته يقول لصديقته ذات مرة أنه بحث عن معنى الكلمة في معاجم اللغة العربية لعلها تكشف له عن شيء.. وسأل بعض أساتذة اللغة العربية عن معناها.. لكن دون جدوى.

سكتت قليلا.. ثم تنهدت وقالت بألم:

- بعد وفاة الجد بأكثر من سنة.. أقدمت (شادن) على قتل نفسها!!!.. تخيل حجم الزلزال الذي أصاب البيت.. لقد حزنت كثيرا لرحيلها.. كنت أحبها كما أحب ابنتي بالضبط.. أما (ناصر) فبالطبع لم يبدُ عليه الاكتراث إطلاقا.. وكأن الأمر لا يعنيه.. حتى شعرت أن الوغد لا يملك قلبا.. المهم أنه بعد أن هدأت الأمور وأغلقت الشرطة ملف انتحار (شادن).. قام (ناصر) بقلب البيت مرة أخرى رأسا على عقب.. بل وقام بإزالة جميع الكتب من غرفة المكتب.. وراح يبحث خلف رفوف المكتبة لعل الجد أخفى شيئا هنا أو هناك.. بالطبع لم يجد شيئا.. ولا يزال يبحث حتى هذا اليوم عن تلك الثروة المزعومة.. لهذا لم يقم ببيع البيت والاستفادة من قيمته المادية.

انتهت أخيرا من كلامها.. ولا يمكن أن أصف لكم مشاعري.. فقد شعرت بحزن هائل جعلني أزفر بقوة مفرغا كل انفعالاتي.. ذلك الملاك.. هذه الفتاة الرائعة انتحرت؟!.. أي حياة قاسية عاشتها المسكينة.. لقد عانت الكثير.. عانت اليتم في سن مبكرة.. عانت رحيل جدها وهو أقرب الناس إليها.. عانت قسوة أخيها.. وعانت أيضا الصم والبكم.. إنها قصة غريبة مبهمة تحوي الكثير من الغموض!!!.. ثم.. تذكرت فجأة أن وجودي هنا من أجل إصلاح جهاز الكمبيوتر.. لحسن الحظ لم يعد (ناصر) بعد.. فأصلحت الجهاز بسرعة.. ونظرت بعدها إلى الخادمة طويلا.. و.. لم أجد ما أقول!!!.. لكني رغم كل شيء طلبت منها رقم هاتفها النقال.. ولم يفتني أن أسألها قبل خروجي:

- تقولين أن (ناصر) وحش بشري.. لماذا تعملين عنده حتى الآن؟!.

قالت وكأنها توقعت هذا السؤال:

- أي خادمة تتمنى أن تعمل هنا.. إنني تقريبا لا أعمل سوى ساعة أو ساعتين في اليوم.. كما أنني لا أحتك نهائيا بـ (ناصر) الذي يغيب عن البيت معظم الوقت كما أخبرتك.. ولا أفعل سوى إعداد طعامه متى ما طلب مني.. وغسل ثيابه.. كما إنني بحاجة إلى المال.. وهو يدفع لي راتبي دون تأخير.. وأعتقد أنك من الممكن أن تحتمل وتتمسك بوظيفة سهلة مريحة حتى لو كان رئيسك وغدا.. أليس كذلك؟!.

لم أجد ما أقوله.. فودعتها بشرود.. وتركتها بعد أن أعطيتها النقود بالطبع.. خرجت أخيرا لأتذكر أن هناك عالما آخر حقيقيا أعيشه!!!.

عدت إلى البيت والخواطر والأفكار تلتهم عقلي التهاما.. فأبدلت ثيابي بشكل آلي وعقلي يفكر ويفكر وسط مشاعر متضاربة سيطرت على كل ذرة من كياني.. الحزن لانتحار (شادن).. الحزن بسبب قصتها العجيبة.. الحزن على وفاة (جدها).. البغض لهذا الحفيد الحقير المدعو (ناصر).. موضوع تلك الوصية الغريبة.. ظهور (شادن) المتكرر في أحلامي.. عند هذه النقطة تحديدا.. تذكرت فجأة الأحلام التي أعيشها كل يوم.. هل هو اتصال بين عالمين؟!.. عالم الموتى وعالم الأحياء؟!.. كثيرة هي القصص التي قرأتها عن أموات يزورون الأحياء في أحلامهم من أجل إيصال رسالة ما.. لكن كلها من وحي الخيال دون شك.. أما ما أمر به فهو حقيقة لا تقبل الجدل!!!.

هل ما يزورني في أحلامي هو شبح (شادن)؟!.. لا أدري.. يقال أن الأشباح ليست سوى بقايا من القوى النفسية لمن ماتوا.. قد أتقبل هذا الكلام.. لكن أن تظهر في أحلامنا بشكل متكرر ومتواصل.. أو تظهر في مكان آخر غير مكان موتها كما يحدث معي.. فهذا ما لا أفهمه على الإطلاق!!!.

ولو تجاوزنا هذه النقطة.. ستبقى هناك أسئلة أخرى.. فما الذي تحاول (شادن) إبلاغي به إن كانت تزورني بالفعل من عالم الأموات؟!.. ثم.. ماذا تعني بكلمة (سترة)؟!.. لقد ترك جدها -رحمه الله- كلمة واحدة قبل أن يموت.. كلمة واحدة لكنها أثارت موجة هائلة من التساؤلات.. هل كان الجد يعني بكلمة (سترة) شيئا مستورا أو مخفيا؟!.. أم كان يعني نوعا من اللباس مثلا؟!.. ليتني أعلم.. ليتني أعلم.

المشكلة أن أفراد أسرتي سيعودون من السفر خلال أسبوع من الآن.. ولا أريد أن أنتظر إلى ذلك الحين.. لأن عودة صخبهم إلى البيت ستشتت تفكيري كثيرا.. وستحد كثيرا من حركتي.. أريد أن أظل وحيدا هكذا كي أجد الصفاء التام لأفكر بأحداث هذه القصة العجيبة وأجد حلا لما يدور حولي.

ظللت هكذا لـ 3 ليال أخرى محاولا أن أقضي الوقت كله في النوم.. لعل (شادن) تظهر لي في الأحلام وتخبرني بالمزيد.. وقد ظهرت في أحلامي بالفعل.. لكن.. لا شيء جديد على الإطلاق.. مجرد أحلام متضاربة لا أميز فيها شيئا واضحا سوى ظهورها المعتاد وترديدها لتلك الكلمة اللعينة (سترة).. حتى أنني شعرت بالإجهاد من كثرة النوم!!!!.. تناقض طريف لكنه حدث معي بالفعل.. لقد كاد الأمر أن يصيبني بالجنون وصرت عازما على القيام بأي شيء قد يكشف لي بعض الغموض المحيط بهذه القصة.. وعندما أقول أنني صرت عازما على القيام بأي شيء.. فأنا أعني هذا تماما.. ولكن ما هذا الـ (أي شيء) الذي أستطيع القيام به؟!.. هذه هي المشكلة.. لا يوجد أكثر من دخول بيتها ومعرفة تفاصيل حياتها كما فعلت.. لكن هذا لم يكن مجديا بصورة كافية كما هو واضح و.. مهلا.. مهلا!!!..

شهقت بقوة ونهضت من مكاني بعد أن تذكرت فجأة أمرا بالغ الأهمية.. إنني لم أدخل غرفة (شادن) حتى الآن ولا أعرف محتوياتها!!!!.. ربما كلمة (سترة) ليست سوى شيء ثمين أخفاه جدها في غرفتها.. ولكن.. هل يعقل أن يكون قد فات (ناصر) تفتيش غرفة شقيقته!!!!.. لا يهم.. المهم أن أبحث في الغرفة بنفسي.. قد تكون كلمة (سترة) هي رمز لشيء ما.. شيء لم يفهمه (ناصر).

نظرة سريعة إلى الساعة.. إنها التاسعة والنصف مساء.. نهضت من على الفراش بحماس واضح لأتصل بالخادمة.. نعم.. لقد أخذت منها رقم هاتفها النقال.. هل نسيتم؟!.. كان لا بد أن أحافظ على قناة اتصال معها قبل أن أتركها وأخرج في المرة السابقة.

اتصلت بالخادمة وأخبرتها بما أريد فعله.. و.. رفضت في البداية رفضا قاطعا السماح لي بالدخول إلى البيت مرة أخرى.. خاصة وأنني سأدخل هذه المرة دون علم (ناصر).. ولم يخفَ علي استغرابها باهتمامي بكل ما يتعلق بحياة تلك الأسرة.. لكني لم أخبرها بشيء بالطبع.. لأنها لن تصدقني أبدا لو أخبرتها أن (شادن) تزورني في أحلامي منذ أسبوعين!!!.

ورغم رفضها الشديد.. إلا أنني تمكنت أخيرا من إقناعها.. كيف؟!.. إنه بريق المال يا أعزائي.. ذلك البريق الذي يلعب دوره بنجاح أغلب الأحيان.. فقد وافقت على السماح لي بالدخول بعد أن وعدتها هذه المرة بـ 100 دينار كاملة.. مع قسم ووعود كثيرة بأنني لن أسرق شيئا.. يبدو أن ثلاثة أرباع مصروفي في فصل الصيف سيضيع بسبب هذه القصة.. ولكن لا يهم.. من أجل عينيك يا (شادن) سأفعل كل شيء.

لقد أخبرتني الخادمة أن (ناصر) يعود أغلب الأحيان في وقت متأخر جدا من الليل وأحيانا في الصباح الباكر.. لذا سأستغل فترات غيابه وأدخل البيت قبل منتصف الليل بقليل.. ولو وصل (ناصر) أثناء تواجدي في غرفة شقيقته فلن ينتبه إلى شيء لأنه لم يدخل غرفتها منذ فترة طويلة كما تقول الخادمة.. فالمخاطرة ليست كبيرة إذا.. أستطيع الاختباء في غرفة (شادن) في حال عودته إلى أن ينام.. ثم أترك البيت (ولا من شاف ولا من دري) كما يقولون!!!.. ولا أخفي عليكم بالطبع أنني أتمنى ألا يحدث هذا.. فالبقاء محبوسا في غرفة شخص ميت لفترة طويلة ليس أمرا مستحبا.. مهما كانت مشاعري تجاه (شادن)!!!.

المهم أنني قبل إنهاء المكالمة.. طلبت من الخادمة أن تفتح لي الباب الخلفي للمنزل في العاشرة والنصف مساء وتذهب بعدها إلى غرفتها.. ووعدتها وأقسمت لها بأغلظ الأيمان بأنه لو كشف (ناصر) وجودي فلن أخبره أبدا أنها متورطة في الأمر.. وأنا صادق في هذا بكل تأكيد.. فلن أقبل أبدا أن أضيع حياتها.. سأتحمل المسؤولية وحدي.. لأنها بالفعل مسؤوليتي وحدي!!!.

مر بعدها الوقت بطيئا للغاية كما يحدث دائما عندما ننتظر حدثا مهما.. إلى أن حانت الساعة الموعودة أخيرا.. فقمت بارتداء ثياب خفيفة.. وتأهبت للخروج.. لم أنسَ بالطبع أن آخذ معي مصباحا يدويا.. هل تظنون أنني سأبحث في غرفة (شادن) وجميع أنوار غرفتها مضاءة؟!.. سأدخل المنزل كـ(لص).. لذا يجب أن أكون مستعدا للتصرف كاللصوص!!.

وصلت إلى بيت (شادن) ودقات قلبي تتزايد قلقا.. الباب الخلفي.. إنه مفتوح.. رائع.. لقد قامت الخادمة بدورها على أكمل وجه.. لن أنسى أن أترك لها المال في غرفة (شادن) لتجده في الصباح كما وعدتها.. وسأفي بوعدي بالطبع.

دخلت البيت بترقب شديد للغاية.. ورحت أنظر حولي بقلق حقيقي.. إنني أؤدي دورا غير مناسب لي على الإطلاق.. فلست معتادا على حياة المغامرات هذه رغم عشقي لها .. وهو تناقض معتاد لمن هم في مثل سني.. الفناء الخلفي مهمل تماما ومليء بالأتربة.. توجد حديقة صغيرة بجانب الحائط.. ولا تغرنكم كلمة حديقة هنا.. فالمساحة الخضراء فيها لم تكن خضراء إطلاقا.. بل جرداء تماما جفت أعشابها وزهورها.

أمشي بحذر وأسمع صوت خشخشة أوراق الشجر الصفراء الملقاة على الأرض.. من أين جاءت تلك الأوراق؟؟!.. من تلك الشجرة الكبيرة في زاوية الفناء.. هذا البيت أصبح يمثل لي بوابة عملاقة يستقر خلفها عالم مظلم مبهم.. أرجو أن تمر مغامرتي بسلام.. فقد تنتهي حياتي تماما لو قبضوا علي متسللا متطفلا على بيوت الناس بهذه الصورة.. ستظهر صوري في صفحات الحوادث وأنا أضع لافتة الرقم على صدري.. هذا لا يحدث عندنا في (الكويت) لكنه تأثير الأفلام الأجنبية كما تعلمون.. و.. لحظة.. يجب أن أذهب إلى فناء البيت الأمامي للتأكد من عدم وجود سيارة (ناصر) هناك.. لا أعتقد أن (ناصر) متواجد في البيت الآن.. فلو عاد بشكل مفاجئ قبل وصولي لاتصلت بي الخادمة بكل تأكيد.. لكن مزيدا من الحذر لن يضر.

أحاول أن أمشي على أطراف أصابعي كراقص باليه محترف.. حسنا.. السيارة غير موجودة لحسن الحظ.. الحر شديد في هذه الفترة من بدايات شهر يوليو.. والرطوبة تلتف حول كل شيء ليصبح الجو خانقا كريها لزجا في ظرف دقائق معدودة.. و.. دخلت من باب المطبخ.. لأتجه بعدها بخطوات حذرة إلى غرفة (شادن) في الدور الثاني بعد أن وصفت لي الخادمة مكانها.

كنت ممسكا بحذائي الذي خلعته قبل دخولي المطبخ محاولا ألا أصدر أي صوت رغم غياب صاحب البيت.. لكنه الخوف والقلق والحذر الزائد.. وصلت إلى الدور الثاني أخيرا.. وتوجهت إلى حيث غرفة (شادن).. فتحت الباب بيد مرتجفة وهدوء مهيب.. قلبي يتقافز بقوة حتى أنني وضعت يدي لا شعوريا على صدري كي أبقي قلبي في مكانه.. يا إلهي.. أشعر بالخوف.. لقد اقتحمت سكنا خاصا.. ثم أنني متجه إلى غرفة شخص ميت.. وهذا كاف بحد ذاته لإثارة الرعب في قلبي.. لكني رغم ذلك ازدردت لعابي.. وأخذت نفسا عميقا.. و.. دخلت الغرفة أخيرا!!!.

أغلقت الباب خلفي بهدوء شديد قبل أن أمسك بالمصباح اليدوي.. وأبحث عن زر التشغيل كالمجنون.. إنني أخشى الظلام الدامس وأعاني من (فوبيا)(6) مزمنة منه..

كما أن دخولك غرفة مظلمة تجهل كل شيء عن محتواها لهو أمر مخيف ومرعب دون شك!!!.. ها هو شعاع الضوء الحبيب يمسح كل شيء بالغرفة.. أنظر بنهم إلى كل ركن منها.. تبدو كأي غرفة تخص فتاة.. بل وتشبه غرفة إحدى شقيقاتي إلى حد ما.. اللون الوردي يطغى على كل شيء فيها.. وأثاثها يحمل لمسة أنثوية واضحة.. وهناك أيضا تلك المكتبة الكبيرة نسبيا والتي تحوي كما لا بأس به من الكتب.. هذا أمر ملفت للانتباه بالفعل.. مكتبة هائلة للجد في الطابق الأرضي.. ومكتبة أخرى

هنا قد تحوي ما لا يقل عن 200 كتاب!!!.. لا شك أن هذا البيت هو أفضل نادٍ صحي للعقل في (الكويت).. راقت لي الجملة فابتسمت رغما عني.

رحت بعدها أفتح أدراج المكتب الصغير الموجود في الغرفة.. هذا السرير.. لقد كانت (شادن) تنام عليه.. شعرت بحنان بالغ وأنا أنظر إليه.. لقد كنت تنامين هنا يا حبيبتي قبل أن تقتلي نفسك.. ولكن.. تحول الحنان فجأة إلى خوف.. وازدردت لعابي بصعوبة عندما تذكرت أن الفتاة انتحرت في هذه الغرفة وعلى هذا السرير تحديدا.. اللعنة.. الخيال يلعب دورا رهيبا في تلك اللحظات!!!.

لا أدري لماذا تذكرت ذلك المشهد المخيف من الفيلم الرائع (الحاسة السادسة) للمخرج العبقري (م. نايت شياملان).. عندما ذهب الولد الصغير إلى غرفة الفتاة الميتة.. كان يمشي في الغرفة باحثا عن شيء ما.. قبل أن تظهر يد شبح الفتاة الميتة وتمسك بساقه لتعطيه ما يبحث عنه.

كدت أنسى كل شيء وأخرج بهلع عائدا إلى منزلي حين تذكرت هذا المشهد.. لكني تمالكت نفسي.. شعور غريب متناقض حقا!!!.. تارة أشعر بالألفة كون الغرفة تخص حبيبتي.. وتارة أخرى أصاب بالرعب بسبب تواجدي في غرفة شخص ميت.. المهم أنني ازدردت لعابي بصعوبة بالغة.. وانحنيت بهدوء لأنظر تحت السرير بحذر.. لكني لحسن الحظ لم أرَ أية أشباح.

رحت بعدها أكمل بحثي في الغرفة وفي الكتب الموجودة في المكتبة تحديدا.. أتأملها واحدا تلو الآخر بدقة شديدة.. روايات وقصص.. كتب كثيرة عن علوم ما وراء الطبيعة.. أطباق طائرة.. تجارب (الخروج من الجسد).. أشباح!!!.. وقائمة طويلة أخرى من الكتب التي يقرأها كل من هم في مثل سني تقريبا.. قبل أن.. قبل أن تقع عيني فجأة على ذلك الشيء مندسا بين الكتب.. لقد ظننته كتابا في البداية.. لكن.. لا.. هذا دفتر مذكرات سميك!!.

سحبت الدفتر بهدوء شديد وبشيء من الصعوبة بسبب الكم الكبير من الكتب المتراصة والتي بالكاد تسعها أرفف المكتبة الموجودة في الغرفة.. نعم.. إنه دفتر مذكرات بالفعل.. ارتسمت ابتسامة وضّاء على وجهي وأنا أمسك بالدفتر بقوة وكأنني أخشى أن يسرقه أحد.. تصفحته على عجالة وإذا بصفحاته مليئة بخط أنثوي دقيق.. تنهدت بعدها وقد شعرت أخيرا أنني عثرت على شيء مهم ذي قيمة بالغة.. لأنهض بحذر عازما على الخروج من هنا.. و.. لم أجد أي مشكلة في خروجي وعودتي إلى بيتي وإلى غرفتي الحبيبة.. كنت عازما على السهر لقراءة هذا الدفتر الدسم الذي يحوي بين طياته قصاصات وأوراقا مقتطعة مطوية من دفاتر أخرى.

كان لا بد أولا من أخذ حمام دافئ يريح أعصابي ويشعرني بالاسترخاء والانتعاش.. بعد أن ملأ الجو جسدي بالعرق والغبار الذي ينتشر في كل ذرة من هواء بلدنا الحبيب.. جلست بعدها على الفراش.. أنظر إلى الساعة.. إنها الواحدة فجرا.. وقت الهدوء.. وقت التفكير والتأمل.. لا أنكر أنني شعرت في أعماقي بسعادة حقيقية بعد هذه المغامرة الصغيرة!!.. نعم.. فكل شخص في مثل سني يود أن يمر بمغامرات كالتي نراها في الأفلام.. وها قد فعلتها.. ولكن.. آمل أن تأتي تلك المغامرة بثمارها.. هذا هو المهم.. وهذا ما قلته لنفسي قبل أن أندس تحت الأغطية الثقيلة بسبب جهاز التكييف المركزي الذي ملأ البيت بالهواء البارد.

أمسكت بعدها بدفتر المذكرات.. إن غلافي دفتر المذكرات هذا بعيدان تماما عن بعضهما وكأنه مجلد علمي.. هل من الممكن ألا يكون شقيقها قد انتبه إليه وظنه كتابا مثلا؟!.. هذا جائز.. لأنني أنا نفسي لم أكن لأنتبه إليه لولا إرادة السماء.

طرحت تلك التساؤلات جانبا.. وفتحت الدفتر لأخرج منه أولا كل الأوراق الصغيرة والقصاصات الموجودة بين طياته.. إنها مجرد خواطر متقطعة لا رابط بينها.. وأبيات من الشعر لـ(نزار قباني) وغيره من الشعراء العرب.. لا يوجد شيء يستحق الاهتمام.. رحت بعدها إلى الجانب الأهم.. دفتر المذكرات نفسه!!.

كانت أول صفحة تحوي عنوانا غريبا إلى حد ما (التسكّع في طرقات النفس)!!!.. يا له من عنوان جميل وملهم.. هذه الفتاة كانت تعيش على نفس الكوكب دون شك.. كوكب الأرض.. لكن يبدو أنها كانت تعيش في عالم آخر بنفس الوقت.. ولا يوجد أي تناقض في العبارتين!!!.. فهي تعيش في عالمها الخاص كما يبدو.. وقد.. وقد نقلتني معها إلى ذلك العالم.. عالم الصم والبكم.. عالم الصمت.. هل نسيتم أن الفتاة صماء وبكماء؟!.. سأقرأ لكم ما خطته يدها.. لكن.. لا أنسى أن أخبركم قبلها أن هذه الفقرة كتبتها (شادن) قبل وفاة جدها كما يبدو:

((لكي تكتب.. لا يكفى أن يكون لديك دفترا وقلما.. بل لا بد أن يؤذيك أحدهم إلى حد الكتابة!!!.. كما أن القلم هو الصوت القوي الذي يتكلم وينطق نيابة عن صوتنا الضعيف.. خاصة وأنني لا أمتلك صوتا أصلا.. إنني صماء بكماء..

والصمم عادة يسبب البارانويا([7]).. فالأصم دائما يعتقد أن كل الناس يسخرون منه أو يتآمرون ضده.. من الغريب حقا أن يعيش الإنسان حياة كاملة من الصمت.. والطريف أنني حتى لا أعرف معنى تلك الكلمة.. كلمة الصمت!!.. فلكي تعرف معناها.. لا بد أن تعرف معنى الصوت أولا.. والصوت لا وجود له في حياتي.. حتى أنني لتساءلت يوما إن كان لأشعة الشمس نفسها أي صوت..

لكن جدي الحبيب أخبرني أن الطبيعة لا صوت لها.. بينما الإنسان هو من يملؤها صخبا وجنونا.

ورغم أنني لا أعرف معنى كلمة (صخب) أيضا.. إلا أنني أشعر أنها كلمة معبرة جدا لما أراه حولي.. فالعالم كله يعيش على عجالة!!!.. لذا اخترت الانزواء عن الجميع.. وفضلت أن أعيش في عالمي الخاص.. مع جدي.. ومع غرفتي التي أعشقها أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم.. إنني أشعر أحيانا كثيرة أنني مثل طائر الـ (كيوي)([8]) الذي ينتمي إلى فصيلة الطيور.. لكنه يختلف عنها في كل شيء.. فأنا أنتمي إلى البشر في تكويني الخارجي والداخلي.. لكني أختلف عنهم تماما في طباعي.. نعم.. أنا طائر (كيوي) بشري إن صح التعبير!!!.. إنني لا أتصنع البراءة.. فلن أكذب على نفسي في مذكراتي التي لن يقرؤها سواي بطبيعة الحال.. لكني بريئة رقيقة جدا بالفعل.. ولا أنسى أبدا ذلك الموقف الطريف منذ 10 سنوات تقريبا عندما كنت في السادسة من عمري.. أذكر أنني ذهبت حينها إلى حديقة الحيوان لأول مرة مع جدي.. إذ كان وقتها بصحة تسمح له بالخروج بين الحين والآخر.. أتذكر أنني تحيرت كثيرا وأنا أبحث عن الزرافة في الساحة المخصصة لها.. لم أكن أرى سوى ساحة مليئة بجذوع الأشجار.. فسألت جدي عن مكان الزرافة.. لينظر إلي مبتسما وهو يشير إلى الأعلى..

وعندما أمعنت النظر.. أدركت أن جذوع الأشجار هذه تتحرك وأنها أقدام الزرافة إياها.. هذه هي حقيقتي دون تصنع!!!.

أعتقد أنني لو مت يوما.. فلن يشعر أحد بغيابي.. لأنهم لا يشعرون بوجودي أصلا.. باستثناء جدي الحبيب.. إنه الإنسان الوحيد الذي يحبني في هذا العالم.. كم أحبه.. كم أحب كلامه.. وعندما أتحدث عن كلامه فأنا أتحدث عن مخاطبته لي بلغة الإشارة بالطبع.. وهي اللغة التي تعلمها مع مرور الأيام لكثرة الوقت الذي يقضيه معي.

أحب كلامه عن تاريخ (الكويت) أيام الغوص والتجارة عندما كان يسافر إلى (الهند) ويقضي هناك أسابيع طويلة.. أحب كلامه عن فترة الستينات الجميلة.. والسبعينات التي تبشر بالخير.. ثم بداية الانهيار في الثمانينات على حد قوله.. وكارثة الغزو العراقي التي أكدت هذا الانهيار.. أحب كلامه عن المخبأ الذي تجمع فيه أفراد العائلة وقت الحرب الجوية والبرية أيام الغزو العراقي عندما كنت طفلة صغيرة لا أفقه ما يدور حولي.

إن جدي هو تاريخ حقيقي لبلدي.. شخصية تستحق التقدير والاحترام.. أتذكر جيدا حين قال بأسى شديد كلاما مؤلما عن الزمن الحالي.. كان يقول:

- اقتصادنا كان في القمة.. فأصبح في القاع.. رياضتنا كانت في المقدمة والآن هي في المؤخرة.. فنوننا كانت رائدة.. فأصبحت الآن بائدة!!!.. لقد عم الفساد.. واسودت النفوس.. وزاد التلوث.. وقل المطر.. وزاد الغبار.. وهاجمتنا المخدرات.. وغزا بلادنا الفكر المتطرف وأهل الشذوذ الجنسي.. شوارعنا ضاقت.. بحرنا صار زبالة.. وزبالتنا تبعثرها العمالة الآسيوية.. ما عاد كبيرنا يعطف على صغيرنا.. وما عاد القوي فينا يرحم ضعيفنا.. في الماضي كان يكفي أن تسأل أي طفل عن الشخص الفلاني كي يأخذك إلى بيته.. أما اليوم فلم يعد أحد يعرف الآخر.. ليتنا مثل الأسماء.. لا يغيرنا الزمان!!!.

حقا أن حديث الشيوخ ممتع جدا.. لأنهم -وقد قاربوا الأبدية- دنوا أكثر من الحقيقة.. وابتعدوا عن آفة التظاهر بالحكمة.. كم أحبك يا جدي.. كم أحب كلامك.. أطال الله في عمرك وأبقاك لي.. كم أخشى رحيلك بسبب تلك الأمراض التي تعانيها.. أخاف أن تمتد يد الموت إلى هذا الجد الحبيب الذي لا يمكنني إكمال حياتي من دونه.. فهو أروع وأجمل إنسان في العالم بالرغم مما صنعته أنامل الزمن فيه)).

رحت بعدها أقرأ وأقرأ.. مجرد خواطر أخرى وكلمات مطولة عن قسوة شقيقها (ناصر).. ثم.. فقرة جديدة من مذكراتها بعد أن توفي جدها بشهور قليلة:

((أشعر أنني فقدت أكثر من جد طيب.. لقد فقدت مصدر أفكاري وخبراتي ومعلوماتي.. لا يمكن أن أنسى ليلة وفاته.. لقد بكيت بجنون ليلتها.. وشعرت بأنني أفتح عيني لأول مرة لأرى واقعا مختلفا غريبا.. شعرت أنني ضعيفة.. واهنة.. غريب أن أكتب عن ليلة وفاة جدي وكأنها حدثت قبل سنوات رغم أنه توفي منذ شهور قليلة فحسب!!!.. يا لها من حياة قاسية.. إما أن تموت في عمر صغير جدا.. أو تعيش لترى أحباءك يموتون واحدا تلو الآخر.. إن حياتي ستتغير دون شك.. فشقيقي يكرهني.. لا

أحتاج إلى ذكاء لأعرف هذا.. إنه يضربني كثيرا ولأسباب أنا نفسي أجهلها أحيانا .. إنه عنيف جدا.. شرس إلى حد مخيف.. لا زلت أذكر ذلك اليوم عندما رآني في غرفتي بعد أن وضعت بعض الماكياج للزينة.. فقد انهالت صفعاته على وجهي دون سبب واضح.. رحت أحاول أن أسأله بلغة الإشارة عن سبب ضربه لي.. لم يكن يعجبه وضعي لمساحيق التجميل.. حتى في غرفتي.. حتى عندما أكون وحدي!!!.. لقد ارتميت على فراشي ليلتها ورحت أبكي إلى أن غرقت في نوم عميق.. كل هذا بالطبع دون أن أمسح الماكياج.. فتلخبطت الألوان حول العينين والشفتين وعلى الخدين.. وكأنني مسحت وجهي في الأرض أو في الحائط.

والآن.. بعد وفاة جدي.. أصبح شقيقي يضربني كل ليلة تقريبا.. يسألني بجنون عن معنى كلمة (سترة)!!!.. ويقول أن جدي لا شك وقد أخبرني شيئا عن معنى تلك الكلمة.. إنني لا أعرف شيئا عن الأمر.. كل ما أعرفه أن الكلمة موجودة في الوصية التي تركها جدي قبل رحيله كما يقول شقيقي.. وعندما أقسم له بالورقة والقلم وبالإشارة عن عدم معرفتي بشيء.. يركلني ويصفعني ويشد شعري بحقد وكأنني سبب فشله!!.

كنت أتساءل بيني وبين نفسي: هل يعقل أن يفعل إنسان كل هذا بشقيقته دون أسباب واضحة؟!.. لكني بعد تفكير أقول: هناك آباء يعذبون أبناءهم بلدغات الزنابير!!!.. نعم.. هناك قصص موثقة ودقيقة جدا عن آباء فعلوا هذا دون أدنى مبالغة([9]).. وأشياء مخيفة غيرها دون سبب واضح!!!.. هناك آباء ساديون مجانين بالفعل.. فكيف سيكون الحال ببعض الأشقاء؟؟!!.. والسادية([10]) مرض نفسي له أسباب كثيرة .. أحدها دون شك الاحتكاك المستمر بشلّة السوء التي وقع أخي في براثنها منذ سن المراهقة وتعلم منها كل شيء.. فمنذ آلاف السنين ذكر (أرسطو) أن الإنسان يتعلم الأخلاق عن طريق التقليد.. فهو يقلّد ما يفعله غيره.. ومع مرور الزمن يتحول السلوك عن طريق التكرار إلى عادة متأصلة..

ولم يختلف معه أحد من علماء السلوك حتى يومنا هذا.. باستثناء أنهم أسهبوا في شرح هذا الكلام.. إذ قالوا أن الإنسان عادة يكون كقطعة الإسفنج التي تمتص محتويات الوسط الذي توجد فيه بخيرها وشرها!!!. لا أنسى بالطبع أن هناك عوامل أخرى أصّلت في شقيقي قسوته.. أولها وصوله إلى سن الـ 35 دون أن يحقق شيئا يذكر في حياته..

فأصبح إنسانا فاشلا إلى حد لا يوصف.. والفشل يؤدي إلى القسوة بطبيعة الحال.. لهذا هو ناقم دائما.. غاضب دائما.. والغضب هو الريح التي تهب لتطفئ سراج العقل.. لذا فقد انطفأ سراج عقله منذ زمن!!!.

إنني أسهب كثيرا في وصف سلوك وقسوة وأخلاقيات شقيقي وكأنه فأر تجارب.. ولا أُلام على هذا.. فهو العامل الأول الذي يؤثر على حياتي.. لقد دمرني تماما.. فحرمني من التعليم دون أي حجة بعد أن أخرجني من المرحلة الثانوية رغم توسلات ودموع جدي العاجز.. ربما فعل هذا من باب الحقد.. إذ لم يكن يريد أن تكون شقيقته المعاقة أفضل منه.. أذكر أنني بكيت لأيام طويلة.. ووقعت عند قدميه أقبلهما بتعبير واضح لا يحتاج إلى كلمات.. لكنه دفعني بقسوة وهو يشير بكلتا يديه بما يعني أن الأمر انتهى.

وبالطبع أنا لا أخرج من البيت نهائيا.. فضاق هذا السجن على أنفاسي نفسها.. حتى صرت أعرف كل جدار وكل طبقة طلاء فيه.. وأعرف أسرار كل وصلة كهربائية متوارية.. حاولت أن أجري لنفسي نوعا من غسيل المخ.. فأردد طوال الوقت أن الشباب هبة في حد ذاتها.. وأن الظروف قد تتغير مع مرور الأيام إلى الأفضل.. صحيح أنني عاثرة الحظ.. صحيح أنني معاقة أيضا.. وقد تلقيت صفعات في كل مكان تقريبا.. إلا أن إصلاح كل شيء لا زال ممكنا.. ولو انتحرت كل فتاة بسبب قسوة شقيقها.. لانتحرت نصف الفتيات في هذا العالم.

لكن رغم ذلك.. أبقى مجرد فتاة صغيرة.. لا أستطيع مقاومة الإحباط الذي يسيطر على كياني.. إنني أشعر باللاجدوى إن صح التعبير.. أشعر بالملل.. وأحتاج إلى ما يقتل الملل.. إلى الفضول!!!.. نعم.. فعلاج الملل بكل تأكيد هو الفضول)).

رحت بعدها أقرأ وأقرأ المزيد بألم وغصة في الحلق.. لم يكن هناك جديد.. المزيد من العذاب.. المزيد من الحقارة التي يمارسها شقيقها.. قبل أن أنتقل إلى جزء آخر شعرت بأنه مقدمة لشيء بالغ الأهمية.. تابعوا معي:

((بفضل وجودي الدائم في البيت.. رحت أنهل من الكتب دون حدود.. أقرأ.. وأقرأ.. و.. أقرأ.. خاصة في كتب ما وراء الطبيعة وهي الكتب المفضلة لدي.. فعرفت أن للإنسان قدرات جبارة لا حد لها.. لكن المشكلة أنه لا يعرف أنه يمتلك تلك القدرات.. أو لا يثق بأنه يمتلكها.. ولو شعر الإنسان بالثقة بقدرته على القيام بكل شيء لحقق المستحيل.

كنت أقرأ تلك الكتب بنهم دون توقف.. إلى أن توقف قلبي وعقلي عند ذلك الكتاب تحديدا.. نعم.. لا شك أن النقلة الجديدة في حياتي قد حدثت عندما قرأت قصة حياة (جورج دانتزيج) (George Dantzig).. كم انبهرت بقصته.. إنها من تلك القصص التي تسمع بها ولا تصدق أنها قد حدثت في عالم الواقع.. بل أنني أكتبها الآن في مذكراتي رغم أنني أحفظها عن ظهر قلب.. ربما لأنني أريد قصة كتلك أن تزين دفتر مذكراتي.

لقد كان (جورج دانتزيج) طالبا عاديا كغيره من الطلبة.. يدرس الرياضيات في جامعة (ستانفورد) في ثلاثينيات القرن الماضي.. قبل أن يحدث التغيير الكبير في حياته بسبب موقف واحد.. موقف واحد بسيط قلب حياته رأسا على عقب!!!.. كان هذا عندما وصل (جورج) في ذلك اليوم متأخرا إلى اختبار الرياضيات في الكلية.. فأمسك بورقة الأسئلة وراح يجيب عليها كأي طالب.. وبعد أن انتهى.. قام بتسليم الورقة إلى الدكتور.. قبل أن ينتبه إلى مسألتين كتبهما الدكتور على السبورة.. وقبل أن يخرج من قاعة الامتحان.. سأل الدكتور عن هاتين المسألتين.. فقال له الدكتور بلا مبالاة: ((خذ يومين لتحلهما.. وإذا قمت بذلك سأعطيك العلامة الكاملة بغض النظر عما قدمته في الاختبار)).

لم يصدق (جورج) هذا العرض المغري كما بدا له.. فذهب إلى بيته عازما على حل هاتين المسألتين آملا بالحصول على الدرجة النهائية في مادة الرياضيات.. لم يكن الأمر سهلا على الإطلاق.. لكنه حاول وحاول.. وبذل كل جهده خلال اليومين.. وتمكن أخيرا من حل مسألة واحدة فقط.. فعاد إلى أستاذه بعد انتهاء المهلة المحددة في اليوم الثالث ليسلّمه الحل ويعتذر عن عدم قدرته على حل المسألة

الأخرى.. ولكن.. في مساء اليوم نفسه.. سمع (جورج) طرقا عنيفا على باب بيته.. ففتح الباب ليفاجأ بأستاذه يصيح بانفعال هائل:

- (جورج).. (جورج).. يا لك من عبقري.. لقد فتحت بابا جديدا في عالم الرياضيات يا بني!!!.. لقد استطعت حل مسألة عجز (آينشتاين) نفسه عن حلها!!!!!.

نعم.. ففي حقيقة الأمر.. كان الدكتور قد قال للطلاب عندما وزع عليهم أسئلة الامتحان:

- حاولوا حل ما استطعتم من الأسئلة.. ولا تشعروا بالإحباط إذا تعثرتم في حل بعضها.. تذكّروا أن (آينشتاين) نفسه قد عجز عن حل مسألتين في الرياضيات.

ثم كتب هاتين المسألتين على السبورة كمثال على استحالة حل بعض التمارين الرياضية.. ومن حسن حظّ (جورج) أنه وصل إلى قاعة الامتحان متأخرا يومها.. ولم يسمع ما قاله أستاذه لبقية زملائه.. فظن أنها مسألة عادية يستطيع حلها بشيء من الجهد والتفكير!!!.. ودخل بعدها التاريخ من أوسع أبوابه بطبيعة الحال باعتباره قد حلّ معضلة رياضية معلّقة عجز (آينشتاين) نفسه عن حلها.. وعيّن (جورج) فور تخرجه مساعد البروفيسور في الجامعة نفسها([11]).

لقد شاءت الصدفة المحضة أن تفوت على (جورج) الهيمنة العقلية التي مارسها أستاذه على الطلاب عندما أقنعهم بأن بعض المسائل في علم الرياضيات مستحيلة الحل.. فتحولت عبارة الأستاذ إلى قناعة مطلقة دخلت حيّز اللاوعي عند الطلاب ومنعتهم من محاولة إيجاد حل لتلك المسألتين.. وحده (جورج) استطاع -وبالصدفة- أن ينجو من هيمنة تلك القناعة.. فحقق ما عجز عنه (آينشتاين) نفسه!!!.

هذه القصة غيرت حياتي بالفعل.. وجعلتني أعرف أن الإنسان متى ما قرر فعل شيء .. فلن توجد قوة في العالم كله تعوق ذلك.. لهذه الأسباب أردت أن أتفوق..

أردت أن أكتشف القوى الكامنة داخلي.. وأن أجيد شيئا يجعلني قادرة على الهرب من عالم الواقع إلى عالم آخر خيالي.. ولكن.. إذا أردت الوصول إلى مكان.. فيجب أن تعرف عنوانه أولا!!!.. كانت هذه هي المشكلة.. أنا لا أعرف عنوان هذا المكان الخيالي.. لكني لم أيأس.. خاصة مع مشاهدتي المستمرة للتلفزيون.. كنت أعرف أن جسدي في سجن.. ولكن عقلي ممكن أن يكون في مكان آخر.. خاصة وأنا أشاهد قنوات السياحة التي تعرض لقطات من (سويسرا).. فأرى الطبيعة وأتمنى أن أتمكن من سماع رنين الأجراس في رقاب الأبقار وهي ترعى في المراعي الخضراء تحت جبال الألب.. وقتها كنت أتمنى أن أكون أنا نفسي بقرة في هذا الوادي.

هذا التفكير الحر جعلني أفكر بأسلحتي التي أمتلكها في متناول يدي كي أهرب من هذا العالم.. كنت مبدعة في القراءة!!!.. إنها مفتاحي السحري الذي يفتح لي خزائن الكنوز في كل زمان ومكان.. وأنا أملك كل الوقت للقراءة بسبب عالم الصمت الذي أعيشه.. فالصمت هو أروع موسيقى.. وهو أكبر داعم للقراءة.. كما أنني وحيدة تماما.. والقراءة الجيدة هي أعظم ما تقدمه لك الوحدة.. المهم أنني يجب أن أجد بنفسي ذلك المكان الخيالي.. ذلك المكان الذي لم يصل إليه بشر.. إن العالم لا يعطيك شيئا مجانيا.. فإذا أردت شيئا.. يجب أن تذهب لتحصل عليه بنفسك)).

انتهيت من قراءة هذه الفقرة الطويلة.. كنت أبتسم أحيانا.. وتدمع عيناي أحيانا أخرى وأنا أقرأ ما تكتبه (شادن).. لقد كانت هذه الفتاة ذكية بحق وتعرف ما تتحدث عنه.. فكلماتها رائعة أشعرتني أن كاتبتها تملك قلبا كبيرا.. أكبر من جسدها نفسه.. المهم أن هذه الخواطر الجميلة لا تجيب على كل شيء بطبيعة الحال.. لكنها مقدمة لشيء مهم جدا كما ذكرْت.

رحت أقرأ باقي صفحات المذكرات بنهم شديد.. إلى أن توقفت عيناي عند هذا الجزء من مذكراتها.. أهم جزء على الإطلاق دون شك.. تجارب (الخروج من الجسد)!!!.. لقد تحدثت في بعض صفحات مذكراتها عن عشقها لعالم ما وراء الطبيعة.. ولاحظت هذا بنفسي بالفعل عندما شاهدت في مكتبة غرفتها تلك الكتب المتعلقة بكل الظواهر الغريبة في العالم تقريبا.. هل تذكرون؟؟!!.. إنها تتحدث هنا عن تجارب (الخروج من الجسد) الشهيرة!!!.. وهي -كما هو واضح من الاسم- شعور الإنسان بأن وعيه وإدراكه خارج جسده المادي.. في حين يكون الجسد نفسه في حالة غيبوبة أو نوم عميق!!!!.. أي أن أثناء ممارسة الإنسان لتجربة (الخروج من جسد).. يبقى وعيه محافظاً على قدرته على التفكير وحرية التصرّف واتخاذ القرارات والتنقل من مكان لآخر بعيدا عن جسده الفيزيائي النائم أو الواقع في غيبوبة.. فيدرك مشاهد وأحداثا كثيرة.. ويستطيع حفظ تلك المعلومات في ذاكرته والعودة بها إلى جسده المادي عندما يستيقظ.. نعم.. هذا هو المقصود مهما بدا الأمر غريبا!!.

لقد نجح بعض العلماء في أوائل السبعينات من تسجيل وزن الجسد قبل ممارسة تجربة الخروج من الجسد.. وبعد الخروج منه.. واكتشفوا أن الوزن قد نقص بعد الخروج بمعدّل 64 جرام!!!.. هل نحن نتحدث عن خروج الروح من الجسد هنا؟؟!!.. وما هو الفارق بين الوعي والروح؟؟!!.. أسئلة مهمة بالطبع.. لكن لا أحد يملك الإجابة عليها مع الأسف!!!.

لقد عُرفت تجارب (الخروج من الجسد) منذ فجر الإنسانية.. حيث تحدث عنها المصريون القدماء ووصفوها بأنها انفصال الجسم الخفي عن الجسم المادي.. كما تحدثت عنها العديد من المراجع التاريخية القديمة ومن جميع أنحاء العالم تقريبا.. عندما عبّر المستكشفون الأوروبيون الأوائل عن دهشتهم حول قدرة بعض الأشخاص المحليين في أفريقيا وأمريكا اللاتينية على معرفة معلومات دقيقة عن أحداث ومواقع تبعد عنهم مئات الأميال!!!!.

أما كيفية ممارسة تلك التجربة فهي ليست سهلة بكل تأكيد.. ولا تأتي إلا بعد تمارين استرخاء طويلة وجلسات تأمل كثيرة([12]).

تقول (شادن) في مذكراتها:

((أنا واثقة أن في حياة كل إنسان مشاكل كثيرة.. وأنا متأكدة أيضا أن لحظات السعادة التي نمر بها تقابلها أحياناً كثيرة دهورا من الحزن.. لكنها الحياة.. ومن لا يذوق مرها.. لن يستطيع التلذذ بحلاوتها.. الفارق هو أنني لم أتذوق أي حلاوة.. فأيامي كلها سوداء ومنذ ولادتي.. لذا رحت أفكر بالدخول إلى عالم تجارب (الخروج من الجسد) لأنني أريد الهروب من الواقع!!!.. لقد حاولت خداع نفسي بالصبر.. لكن هذا لا يجدي أمام ما أعانيه في حياتي.. وإنني في الحقيقة لا أكترث كثيرا لتلك النصائح التي تملأ الصحف والمجلات.. والتي تخبرك ألا تهرب من مشاكلك.. فهذه الحكم والنصائح يقولها عادة أناس لا مشاكل لديهم.. أما أنا فغارقة في المشاكل ولا أجد سبيلا لحلها.. لذا

اخترت الهروب لأنني لا أستطيع تغيير شقيقي.. والأشياء التي لا تستطيع تغييرها.. ستقوم هي بتغييرك إلى الأسوأ على الأرجح.

لقد كان الوقود الذي يحركني ويزيدني إصرارا وحماسا هو قصة (جورج) التي تركت أثرا إيجابيا بالغا في نفسي.. فبحثت عبر مواقع الانترنت.. وقرأت كل الكتب التي تتحدث عن تجارب (الخروج من الجسد).. حتى عرفت كل شيء عنها من الناحية النظرية.. ليبقي بعد ذلك الأمر الصعب.. وهو التطبيق العملي بالطبع!!!!.

رحت بكل حزم وإصرار أقضي ساعات.. بل أيام طويلة في غرفتي أتدرب على التأمل.. أحاول أن أطرد كل شوائب عقلي.. أحاول.. أحاول.. أحاول أن أجعل الأرض تذوب من حولي.. أن أجعل بقعة الظلام تتكون أمام عيني.. ليس الأمر سهلا بالتأكيد.. فمن الصعب أن تتأمل بأعصاب هادئة وفي عينيك ألف دمعة ودمعة!!!.. أتأمل للحظات.. فأتذكر جدي الحبيب.. أحاول أن أركز أكثر.. فأتذكر قسوة شقيقي وضربه لي قبل أيام قليلة.. أهز رأسي وكأنني أنفض عنه تلك الأفكار.. فأتذكر ما تناولته على الغداء في الأمس!!!.. إن الأمر عسير للغاية بكل تأكيد.. بل يكاد يكون مستحيلا.

لكني رغم ذلك لم أيأس.. خاصة وأن تجارب (الخروج من الجسد) تحتاج إلى إنسان يشعر بسلام تام مع نفسه بعيدا عن الضوضاء التي يعيشها العالم.. وأنا صماء بكماء أعيش في هدوء تام.. هذا سلاح يجب استغلاله في صالحي.. لا يمكن أن أستسلم.. لا يمكن أن أفشل.. فالإنسان لن يكون فاشلا إلا إذا توقف عن المحاولة.. وأنا لن أتوقف عن المحاولة!!!.. أريد أن أعرف خريطة جسدي تمام المعرفة.. أريد أن أغوص في بحوري واكتشف كنوزي.. وأن أصول وأجول العالم بعقلي.. الطريق صعب جدا.. ولكن قد تساعدني الإضاءة الخافتة الحالمة في غرفتي.. لن يفزعني صوت تنهداتي.. ولن أنشغل بتعبيرات وجهي.. لن يتساءل عقلي عن أي شيء.. ولن أشك بقدراتي.. لأن الشك جدار يقف بينك وبين ممارسة تلك التجربة.. يجب أن تتسلق جدار الشك لتعبر الجانب الآخر.. يجب أن أتحكم في عقلي وكياني وإدراكي.. إن العقل البشري شبيه بالبيت المليء بالغرف.. والمليئة بدورها بالذكريات والأحلام والأفكار.. هذه الغرف مفتوحة على بعضها دائما.. فيختلط كل شيء في العقل مما يمنعه من التأمل.. إنني أحاول العثور على مفتاح رئيسي لأقفل هذه الغرف حتى أقوم بترتيب عقلي ومنع أفكاري من التشتيت.. و.. بعد أيام طويلة وتركيز شديد ومحاولات لا تنتهي من تمارين الاسترخاء والتأمل.. بدأت أشعر أخيرا أن وعيي يترك جسدي بالفعل ويرتفع ليصل إلى سقف الغرفة!!!.. فأنظر إلى جسدي النائم الذي تركته خلفي.. لأشعر بنشوى رائعة لا يمكن أن توصف بالورقة والقلم.. وشيئا فشيئا.. تمكنت من اختراق سقف غرفتي والخروج بوعيي إلى العالم.. لقد.. لقد نجحت أخيرا.. نجحت بعد مرور أكثر من 3 شهور لم أفعل فيها شيئا سوى التأمل!!!.. حتى بدأت أدير دفة إدراكي تماما.. ليصل الأمر إلى مرحلة الإتقان.

لقد أصبح وعيي يترك جسدي أكثر أوقات اليوم.. لأسافر به إلى أي مكان أريده.. إنني أعيش أجمل لحظات حياتي عندما أفعل هذا.. فأشعر أنني كائن آخر.. كائن حر لا يقف أمامه أي حاجز.. يا له من أمر رائع أن ترتفع عن الجميع في أوقات الليل!!!.. فتنتقل إلى أعالي الفضاء.. وتنظر إلى كوكب الأرض كله تحتك.. وتشعر بنشوة الهرب من كل شيء.. نشوة الارتفاع واستكشاف العالم بأكمله.. لقد

دخلت عوالم لم أعرفها في حياتي.. فذهبت إلى غابات (سيبيريا).. وتوغلت في كهوف (اسكتلندا).. وجلست في قلب (أهرامات الجيزة).. وغصت في أعماق المحيط الأطلسي!!!.

لقد بت أفعل ذلك في كل يوم تقريبا.. أترك جسدي وأهرب بوعيي وإدراكي إلى عوالم جديدة أكتشفها لأول مرة وفي أماكن متفرقة من العالم.. حتى أصبحت أقضي أكثر من 15 ساعة يوميا في غرفتي أمارس تجربة (الخروج من الجسد).. بالطبع لن يشعر شقيقي بغيابي.. لأنه لا يشعر بوجودي أصلا.. ولا يتذكرني إلا إذا كنت أمامه.

أشعر أنني أقترب من خلال تلك التجارب إلى العالم الآخر.. إلى سر الأسرار الذي حير البشرية.. ما هو سر الأسرار هذا؟؟!!.. لا أعرف.. لهذا هو سر.. لكني اقتربت منه جدا.. أعرف هذا وأدركه جيدا!!!)).

أغلقت دفتر المذكرات وفي ذهني عشرات الخواطر.. لقد عشت بين هذه السطور بكل كياني حتى نسيت نفسي تماما.. هل الكلام المكتوب هنا هراء؟!.. لا أعتقد.. هذه الفتاة سافرت بوعيها إلى أماكن عديدة بالفعل.. بل وأجدها تصف أماكن لم تكن لتعرفها لولا أنها تواجدت فيها!!!.. إنها تتحدث وبوصف دقيق جدا عن غابات (الأمازون).. وعن أجزاء من غابات (سيبيريا) التي لم يطأها إنسان من قبل.. هذه الفتاة تمكنت من فك طلاسم خريطة روحها إن صح التعبير!!!.. إن جسدها المادي في سجن نعم.. لكن وعيها -وهو الأهم- في عالم آخر.

ولكن.. مهلا.. مهلا.. هناك أمر آخر بالغ الأهمية يحتاج إلى توضيح.. كيف انتحرت (شادن)؟؟!!.. مذكراتها تنتهي بصورة اعتيادية جدا.. ولا يوجد فيها ما يوحي برغبتها في الانتحار.. بل يبدو لي أنها كانت مستمتعة بمقدرتها تلك!!!.. يا إلهي.. هناك عبارة مهمة قرأتها ولم أنتبه إليها سوى الآن.. تلك الفقرة من مذكراتها.. عندما قالت:

((صحيح أنني عاثرة الحظ.. صحيح أنني معاقة أيضا.. وقد تلقيت صفعات في كل مكان تقريبا.. إلا أن إصلاح كل شيء لا زال ممكنا.. ولو انتحرت كل فتاة بسبب قسوة شقيقها.. لانتحرت نصف الفتيات في هذا العالم))!!!.

هذه العبارة تنقض تماما فكرة انتحارها.. هل من الممكن؟؟!!.. مهلا.. بشيء من الخيال والتفكير البوليسي.. هل نقول أن...؟؟!!.. يا إلهي.. هناك خواطر مجنونة تلح على عقلي.. لماذا تقدم فتاة على الانتحار وهي تعيش تلك التجارب الرائعة كما تصفها بنفسها؟!.. لماذا تقدم فتاة على الانتحار في الوقت الذي تراه أمرا مرفوضا؟!.. هذا سؤال منطقي جدا.. أشعر أن هناك سراً ما في تلك القصة.. ولو فكرت ببعض التجرد وبشيء من العقلانية.. فسأجد أنه من الصعب علي تصديق أن (شادن) قد قتلت نفسها.. هل قتلها شقيقها مثلا ثم جعل الأمر يبدو وكأنه انتحار؟!.. أعترف أنني متأثر إلى حد كبير بالأفلام الأجنبية.. ولكن ليس لهذا علاقة بما أفكر به.. إن تفكيري عقلاني جدا.. أعتقد.. أعتقد أن الأمر يحتاج إلى اتصال آخر.. بمن؟!.. بالخادمة بالطبع!!!.. نظرة سريعة على الساعة.. إنها السابعة صباحا!!.. هل ظللت مستيقظا طوال تلك الفترة؟!.. لا أصدق كيف سرقتني تلك المذكرات من الزمن نفسه.. المهم الآن.. ربما يكون هذا وقتا مناسبا للاتصال بالخادمة.. فالخدم يستيقظون مبكرا عادة.. وضعت فكرتي قيد التنفيذ.. و:

- آلو..

صوت ناعس متثائب.. كنت مخطئا بشأن استيقاظها المبكر إذاً.. تمالكت نفسي وقلت بحزم:

- إنه أنا مرة أخرى؟!.. لدي سؤال هام جدا.. متى اكتشفوا أن (شادن) قد أقدمت على قتل نفسها؟!!.

قالت بنفاد صبر:

- اسمع يا سيد.. إنني لا أريد المزيد من المتاعب.. أرجوك.. أنا أحتاج إلى وظيفتي.. أحتاج إلى راتبي.. و....

قاطعتها بحدة:

- لم أسبب لك أي متاعب بحق السماء.. ووعدتك مائة مرة على الأقل أن أحدا لن يكشف أبدا ما فعلناه.. لا تخشي شيئا أرجوك.. لن أتحدث إلى أحد.. ولن يعرف مخلوق بما أخبرتني به وبما حدث بيننا.. فقط أجيبي على سؤالي.. متى انتحرت (شادن)؟!.

تنهدت.. ثم قالت بصوت ناعس أغاظني كثيرا:

- لقد كان هذا في منتصف شهر يناير على ما أعتقد.. قبل 3 سنوات تقريبا.. لكني لا أذكر التاريخ تحديدا.. إذ ذهبت إلى غرفتها في ذلك اليوم كي أخبرها أن الإفطار جاهز.. و.. وجدتها ميتة!!!.

ولكن.. آخر صفحة من مذكراتها تشير إلى تاريخ 10 يناير.. ولم أجد ما يشير إلى رغبتها في الانتحار.. هذا مريب بالفعل.. سألتها بانفعال:

- كيف؟!!.. كيف قتلت نفسها؟!.

سكتت قليلا وكأنها تتذكر شيئا.. ثم قالت:

- أتذكر أن شقيقها تشاجر معها في وقت متأخر من الليلة التي سبقت انتحارها.. كان يسألها عن معنى كلمة (سترة) ويأمرها أن تكتب له على ورقة كل ما تعرفه.. وهو استجواب تكرر عدة مرات كما أخبرتك سابقا.. لكنه كان مصرا على أنها تعرف شيئا عن الأمر.. لقد سمعت صراخه يومها.. وصوت أشياء تتكسر.. لكني لم أحتمل.. فذهبت إلى غرفتي كي لا أسمع المزيد.. وعندما.....

قاطعتها بانفعال واضح:

- ألم تثر (شادن) شفقتك؟!.. ألم تحاولي مساعدتها؟!.

تنهدت بصوت واضح وهي تقول:

- لقد أثارت شفقتي بكل تأكيد.. فكنت أدخل غرفتي وأبكي كثيرا.. وأندب حظها.. وحظي الذي يجعلني أرى تلك القسوة منذ قدومي إلى هذا البيت دون أن أتمكن من فعل شيء حيالها.. ولكن.. ماذا عساي أن أفعل؟؟!.. إنني مجرد خادمة هنا لا دور لي ولا سلطة.. ثانيا.. أنا أحتاج وظيفتي كما قلت لك سابقا.. فلدي ولد يدرس في الجامعة ومصاريفه كثيرة.. وزوجي مريض يحتاج إلى علاج مكلف

في بلدي.. كما كنت أقول لنفسي أن من لا يملك الشفقة تجاه جده وشقيقته.. لن يشفق على خادمة لا يرتبط بها بأي صلة.

زفرت وأنا أقول:

- حسنا.. أخبريني بالمزيد.. قلت أن (ناصر) قد دخل غرفة شقيقته في تلك الليلة وضربها بقسوة.. ولكن.. هل تعرفين لماذا؟؟!.

ردت بحدة:

- لقد أخبرتك.. كان يسألها مرة أخرى وأخرى عن وصية الجد.. ويقول أنه واثق من أنها تعرف شيئا عن معنى كلمة (سترة)!!!.

سألتها بشيء من الشك:

- كيف كان يتفاهم معها؟!.. هل كان يتحدث بلغة الصم والبكم؟!.

قالت بأسى:

- لا.. كان فقط يتحدث.. ويتحدث.. ويريد من شقيقته أن تفهمه!!!.. لا تسألني كيف.. وعندما يصاب باليأس من حوار الطرشان هذا.. يأتي بورقة وقلم ويكتب بسرعة ما يريد معرفته.. فكانت المسكينة ترد عليه بالإشارة بأنها لا تعرف.. وإن أردت رأيي فـ (شادن) لم تكن تعرف بالفعل أي شيء عن تلك الوصية.. ولم تكن حتى تكترث في البحث عنها.. كنت أشعر أنها لا تريد شيئا من هذا العالم وكأنها تعيش في عالمها الخاص.. إذ لم تكن تخرج من غرفتها على الإطلاق خاصة في الشهور القليلة التي سبقت انتحارها.

سكت قليلا وكأنني أزن الأمر في عقلي.. قبل أن أقول بغموض:

- حسنا.. فليبقَ تواصلي معك سرا.. وتأكدي أنك بأمان.. وأنني لن أخبر أحدا على الإطلاق بأمر اتصالاتي بك.. سأتركك الآن وربما أتصل بك لاحقا.

أقفلت الخط قبل أن أسمح لها بالرد على كلامي.. وجلست على الفراش أفكر.. وأفكر بانفعال واضح.. قد أكون عبقريا.. وقد تكون كل استنتاجاتي لا تتعدى خيالات صبيانية فحسب!!!.. يا له من غموض.. غموض لعين يكاد أن يخنقني.. يجب أن أرتب أفكاري قليلا.. دعونا نرى.. لقد بدأ كل شيء عند دخولي بيت (شادن) في أول مرة.. فقد قامت بزيارتي في الحلم ليلتها واختارتني أنا تحديدا لأنها تعرف أنني شاهدت صورتها لكني نسيت كل شيء بشأنها كما علمتم.. وعندما ظهرت لي في الحلم.. بدا وجهها مألوفا إلى حد كبير لأن عقلي الباطن لم ينسَ صورتها.. فالعقل الباطن لا ينسى شيئا على الإطلاق.. حسنا.. جميعنا نعرف هذا.. ولكن.. لماذا تظهر (شادن) في أحلامي بشكل يومي؟!.. وماذا تعني كلمة (سترة)؟!.. وكيف تقدم فتاة على قتل نفسها وهي تستمتع يوميا ولساعات طويلة بممارسة تجارب الخروج من الجسد كما تقول في مذكراتها؟؟!.. بل أنها استنكرت فكرة الانتحار!!.. لو افترضنا أن شقيقها قام بقتلها بالفعل.. ستكون لدينا معادلة ناقصة.. فلماذا يقتلها؟!.. ما هو الدافع؟!.. هل من الممكن أن يكون قد ضربها بقوة فتسبب لها باضطرابات جسدية أدت إلى موتها لاحقا؟!..

ربما.. وعندما اكتشف موتها قام بتلفيق الأمر كي يبدو انتحارا.. لقد حدث الأمر ذاته مع (هاري هوديني) الساحر الشهير عندما تعرض للكمة قوية في معدته.. لكنه لم يمت إلا بعدها ببضع ساعات([13]).. نعم.. نعم.. فبشيء من الخيال.. أستطيع أن أقول أن شقيقها الحقير قد ضربها بعنف وأصابها بنزيف داخلي.. وأنها شعرت بعدها بآلام مبرحة.. فأرادت أن تمارس تجربة (الخروج من الجسد وتهرب من جسدها الذي كان يحتضر بعد أن أثخنته الجراح.. يا إلهي.. يا إلهي!!!.. استنتاج مخيف بحق.. وهو يجيب على تساؤل هام للغاية.. كنت أتساءل طوال الوقت كيف تملك (شادن) المقدرة على الظهور المتكرر في أحلامي؟؟؟!!.. فالناس يموتون كل يوم.. لكنا لم نسمع أبدا عن ميت لديه القدرة على زيارة الأحياء في أحلامهم بهذه الصورة الغريبة.. الجواب واضح.. واضح جدا.. بل هو الجواب الوحيد وقد ذكرته بنفسي قبل قليل.. لكني لم أتوقع أن أكون دقيقا في استنتاجي إلى هذا الحد!!!!.. لقد ضربها شقيقها ضربا مبرحا في تلك الليلة بالفعل.. وتركها بعد ذلك تئن من الألم في غرفتها.. وهذا الضرب المبرح ربما تسبب بنزيف داخلي ومن ثم موتها بعد ساعات قليلة.. ربما دخل شقيقها غرفتها بعد ذلك ووجدها ميتة.. فأصيب بالذعر وقطع شريان معصمها كي يجعل الأمر يبدو وكأنه حادث انتحار!!!!.. هذا يجيب على الكثير من التساؤلات.. نعم.. فعندما ضربها شقيقها وخرج من غرفتها.. أرادت أن تهرب من هذا العذاب إلى عالمها الخيالي.. فمارست تجربة (الخروج من الجسد) دون أن تعرف أنها تعاني من نزيف داخلي.. لقد مات جسدها.. لكن وعيها لم يكن داخل جسدها لحظة الوفاة وظل هائما عبر الأثير!!!!!!.. هل الوعي مرتبط بالروح؟؟!!.. هل الوعي هو الروح؟؟!!.. سؤال لا أعرف إجابته بالطبع.. ولا أحد في العالم يعرف!!!.. لكن استنتاجي غريب.. ومخيف.. إنه يبدو منطقيا للغاية في ظل المعطيات الموجودة لدي.. لقد مات جسدها عندما كان وعيها خارجه!!!.

لو كان استنتاجي صحيحا.. فالصورة الحالية للقصة تعني أن (شادن) الآن لا تملك جسدا كي يعود وعيها الهائم إليه.. هل فهمتم المعضلة؟؟!!.. إن وعيها يجوب العالم دون جسد منذ 3 سنوات!!!.. ربما هذا يعطيها القدرة على زيارة من تريد في فترة النوم.. تماما كما فعلت معي.. لأن ذهن الإنسان أثناء النوم يكون في أكثر حالاته استرخاء كما نعلم جميعا.. لهذا يكون مستقبِلا جيدا لأي رسائل عقلية.. هل كلامي هذا هراء؟؟!!.. لا أدري.. لكني لا أعتقد أنه كذلك.. والدليل هو زيارات (شادن) اليومية لأحلامي.. فما الذي نعرفه عن تجارب (الخروج من الجسد)؟؟!.. ما الذي نعرفه عن الروح؟؟!.. ما الذي نعرفه عن الأحلام؟؟!!.. إن استنتاجاتي تجيب على أسئلة كثيرة.. فبعد أن قمت بزيارة بيتها لأول مرة كي أصلح جهاز الكمبيوتر التالف.. قامت (شادن) بدورها بزيارتي في الحلم في نفس الليلة واختارتني أنا تحديدا لأنها تعرف أنني شاهدت صورتها.. فراحت تظهر في أحلامي لتنعش ذاكرتي علّني أتذكر أين رأيتها.. وعلّني أفعل شيئا!!.

أما لماذا لا تتحدث معي في أحلامي وتخبرني بما تريدني أن أفعله بكل بساطة.. فالسبب قد يكون لعدم وجود خاصية (الاستبعاد) لدى الشخص النائم وهو أنا بطبيعة الحال.. تلك الخاصية التي شرحتها سابقا في قصتنا هذه.. لهذا تكون الأحلام مبعثرة غير مفهومة وغير مترابطة.. أعتقد.. مجرد اعتقاد.. أنها تريدني أن أعثر على الثروة كنوع من الانتقام من شقيقها.. حسنا إذا.. لقد أجبنا على أسئلة كثيرة.. ولكن يبقى أهم سؤال.. معنى كلمة (سترة).. إنها آخر النقاط غموضا.. وربما أهمها.. إذا افترضنا صحة استنتاجاتي التي أنهكت عقلي المكدود.

زفرت بقوة من شدة الإرهاق والانفعال.. قد أكون عبقريا.. وقد تكون كل استنتاجاتي لا تتعدى خيالات صبيانية فحسب.. يا له من غموض.. غموض لعين يكاد أن يصيبيني بالاختناق.. لكني على كل حال.. أشعر الآن أن الإجابة قريبة.. قريبة جدا.. وأن النهاية اقتربت.. النهاية التي يشعر بها الجالسون في السينما فيجمعون حاجياتهم ويتأهبون للخروج.. النهاية التي تجعل التلميذ يترقب سماع الجرس في اللحظات الأخيرة من الحصة.

استلقيت على الفراش والإنهاك يقتلني ويذيب عقلي.. نظرة سريعة إلى الساعة.. يااااه.. إنها العاشرة صباحا!!!.. إنني لم أذق طعم النوم منذ البارحة وأشعر بإرهاق شديد.. يجب أن أنام بالفعل.. سأنام ملء جفوني.. ثم أفكر بأحداث هذه القصة.. فحتى لو كنت قلقا.. سأقلق بشكل أفضل حين أصحو وأسترد قواي.. أليس كذلك؟!.. و.. نمت أخيرا.. نمت بعمق شديد كجثة هامدة.. إلا أن النوم هذه المرة ساعدني كثيرا.. ساعدني إلى درجة لا يمكنكم تخيلها!!!..

لقد ظهرت (شادن) في أحلامي كالعادة وهو ليس بأمر جديد.. لكن.. هذه المرة رأيتها سعيدة!!!.. رأيتها ممتنة.. وكأنها تهنئني على ما وصلت إليه!!!.. لم يكن يوجد أي ترابط في أحداث الحلم كالعادة.. لكن الشعور العام الذي ساد حلمي هو رضاها الواضح وعدم ترديدها لكلمة (سترة).. وهي المرة الأولى التي تظهر فيها (شادن) في أحلامي دون أن تردد تلك الكلمة.. مما أوحى لي بالفعل أنني على الطريق الصحيح .. لقد أعطتني حبيبتي إشارة واضحة إلى ذلك!!!.

كانت الساعة عند استيقاظي تشير إلى الرابعة عصرا.. لقد نمت بشكل جيد كما يبدو.. لكني لم أنهض من الفراش.. بل بدأت أفكر مرة أخرى بكل ما حدث.. أريد إغلاق ملف تلك القصة نهائيا وكشف كل تفاصيلها.. لقد أعطاني الحلم دفعة معنوية هائلة للاستمرار.. فأمسكت بدفتر مذكرات (شادن) الذي تركته بالقرب من فراشي قبل النوم.. ورحت بعينين ثاقبتين أتصفحه مرة أخرى.. وأخرى.. وأفكر في نفس الوقت بما تعنيه كلمة (سترة).. فكل ما حدث يتوقف على تلك الكلمة!!!.. ترى.. هل هي كلمة مبهمة لا معنى لها؟؟!.. هل كان جدها يخرف؟؟!.. تبقى مصيبة لو كان الأمر لا يتجاوز تخاريف الشيخوخة.. لا.. لا أعتقد ذلك.. لكن.. من أين أتى جدها بهذه الكلمة أصلا؟!.. الذي أعرفه عن جدها هو أنه من أهل (الكويت) الذين ركبوا البحر وذهبوا إلى الغوص.. وسافر عدة مرات إلى (الهند) في شبابه كما تقول (شادن) في مذكراتها.. وعندما..... و.. ماذا؟!.. (الهند)؟؟!!.. مهلا.. مهلا.. لماذا لا تكون كلمة (سترة) غير عربية؟؟؟!.. لماذا لا تكون هندية الأصل مثلا؟؟!!!.. إن لها إيقاع شبيه بإيقاع بعض الكلمات الهندية!!!.. يا إلهي.. قفزت من الفراش كالملسوع وقد اختفت آثار النوم تماما من وجهي.. ثم هرعت كالمجنون إلى جهاز الكمبيوتر.. سأبحث في الانترنت.. لن يكون الأمر سهلا بالطبع.. فلا أعرف كيف أكتب تلك الكلمة في محركات البحث أصلا.

قمت بكتابة الكلمة باللغة العربية أولا.. لكني لم أجد أي نتائج واضحة.. كتبتها بالإنجليزية.. ورحت أغير طريقة أحرفها.. قبل أن تتحفز كل حواسي فجأة.. ليخفق قلبي بعنف!!!.. هذه الكلمة التي وجدتها في محرك البحث.. كلمة (Sūtra) وتكتب بالعربية (سوترا)!!!!.. إنها كلمة هندية بالفعل.. من لغة الهند القديمة التي يطلق عليها (اللغة السنسكريتية) (Sanskrit).. الكلمة تعني (التعليم الديني).. لا أعلم إن كان هذا الاكتشاف مشجعا.. يجب أن أبحث أكثر.. أمسكت بالفأرة ورحت أقرأ كل المواقع التي تشير إلى تلك الكلمة.. بحث آخر استغرق دقائق قليلة قبل أن أقع على هذا الاكتشاف الرهيب..

أهم اكتشاف في حياتي على الإطلاق!!!.. (سوترا).. إنه اسم كتاب!!!.. إنه كتاب إذاً!!!.. كتاب تاريخي أثري.. إنه أقدم نسخة سليمة لكتاب في تاريخ البشرية كما يقول ذلك الموقع على شبكة الانترنت.. هناك بالطبع كتب أقدم منه.. لكن جميع الكتب التاريخية والأثرية الموجودة في المتاحف ممزقة أو لا نملك منها سوى بضع صفحات.. بينما نحن نتحدث هنا عن أقدم نسخة ((سليمة بالكامل)) من كتاب في تاريخ البشرية!!!!.. إذ تمت كتابته وصنعه في عام 868 ميلادية كما هو مكتوب على غلاف الكتاب نفسه.. أي منذ أكثر من ألف ومائة عام.. ويعتبر (سوترا) من أهم الكتب التي تتحدث عن تاريخ الديانة البوذية التي نشأت في (الهند).. ثم انتشرت إلى الدول القريبة والمجاورة لها في بدايات القرن الأول الميلادي.

لقد كان الكتاب مخبّئا مع 40 ألف مخطوطة أخرى في كهف مغلق ومختوم تماما بالقرب من مدينة (دونهاونغ) (Dunhuang) في شمال غرب (الصين) منذ عام 1000 ميلادية تقريبا.. في الوقت الذي كانت فيه (الصين) مهددة بغزو من مملكة (Hsi-Hsia).. وقد اكتشف أحد الكهنة هذا الكهف عام 1900 ميلادية.. أي بعد حوالي 900 سنة.. تخيلوا هذا!!!.. الغريب أن الكتاب ظل محتفظا بشكله وقوته ومتانته طوال تلك القرون.. ربما لأن الكهف كان مغلقا بشكل كامل عزل الهواء تماما عن محتوياته.

وفي عام 1907 حصل السير (أوريل ستاين) (Aurel Stein) على الكتاب مع كل المخطوطات الأخرى في رحلة علمية لـ(الصين).. حيث دفعت (بريطانيا) مبلغا زهيدا جدا من المال للحكومة الصينية ثمنا للكتاب مع المخطوطات لجلبها للمكتبة البريطانية.. أي أن الكتاب الآن موجود في (بريطانيا)([14]).

عزيزي القارئ.. لقد شعرت بما لم أشعر به من قبل.. نشوة عجيبة سيطرت على كياني.. ولا أنكر أنني بكيت بحرقة تأثرا بنفسي!!!.. لقد حللت جزءا كبيرا من معضلة هائلة كهذه دون مساعدة أحد.. لست رجل مباحث خطير.. ولست عالم آثار!!!.. ولست محللا بارعا.. إنني شاب عادي جدا.. لكنني رغم ذلك فعلتها.. فعلتها دون مساعدة من أحد.. رحت أمسح دموعي.. وأحاول أن أسيطر على نفسي.. إن ما فعلته ليس بقليل على الإطلاق!!!!.. تفكير وبحث واستنتاجات ومغامرات كادت أن تودي بمستقبلي وحياتي بأكملها.. ربما لهذا كتبت قصتي لكم.. أريد أن يعرف الناس بإنجازي الشخصي.. خاصة وأنه يستحق الفخر.. صدقوني ليس الأمر متعلقا بالغرور.. بل هي حاجة ملحة لكل إنسان أن يُشعر الآخرين أنه ليس سيئا.. وأنه أنجز شيئا رائعا كهذا!!!!.

المهم الآن.. بعد لحظات الفرح والنشوة هذه.. يجب أن أعرف.. هل الكتاب موجود في (الكويت)؟!.. هل هو موجود ضمن آلاف الكتب في تلك المكتبة الضخمة في بيت (شادن)؟!.. أعتقد.. أعتقد أنني محق.. وأن الكتاب مخبأ في تلك المكتبة الهائلة بالفعل.. فأفضل مكان لإخفاء كتاب هو بين مجموعة ضخمة من الكتب.. لماذا لا يكون الكتاب مخبأ في غرفة (شادن) مثلا؟!!.. لأنها لا تعرف شيئا عن الكتاب.. فيستحيل أن يكون مخبأ بين مجموعة كتبها التي قامت بترتيبها بنفسها على الأرجح.. أليس كذلك؟!.

لكن كل ما ذكرته لا يجيب على أهم سؤال.. كيف حصل جد (شادن) على الكتاب؟؟!.. لقد تبين من مواقع الانترنت أن الكتاب موجود بالفعل في (بريطانيا).. وأنه لا توجد نسخة أخرى منه.. فهل هم مخطئون في النقطة الأخيرة؟!.. هل هناك نسخة أخرى لا يعلم أحد بشأنها وقد حصل عليها جد (شادن) أثناء زياراته المتكررة لـ(الهند) مثلا؟!.. لم يكن جدها مخطئا حين وصف الكتاب بـ(الثروة).. فلا شك أنه لا يقدّر بثمن الآن.. عموما.. سأعرف كل شيء.. أو هذا ما أتمناه.

تسألونني عما سأفعله الآن؟!.. تماما كما تتوقعون.. فالأمر يحتاج إلى زيارة أخيرة.. زيارة نهائية إلى بيت (شادن) بالطبع!!!.. وإلى غرفة المكتب تحديدا كي أعثر على الكتاب.. و.. لا داعي أن أكرر لكم ما حدث عند اتصالي بالخادمة ورفضها القاطع في البداية وإصراري الشديد.. إلخ.. فالأمر تكرر حرفيا هذه المرة أيضا.. ولا ننسى أيضا دور المال في إقناعها.. لقد أصبحت هذه الخادمة ثرية في مقاييس بلدها بفضل نقودي!!!.

المهم أنني دخلت ذلك البيت قبل منتصف الليل بقليل بطريقة شبيهة جدا بالمرة السابقة.. وبعد أن تأكدت من خروج (ناصر).. هذه المرة كانت وجهتي غرفة المكتب.. ستكون عملية بحث شاقة جدا دون شك.. إذ سأمسك كشافا بيدي.. وأبحث بين آلاف الكتب في الظلام.. لكني لا أنكر أنني دخلت البيت هذه المرة بثقة أكبر سببها استنتاجاتي الصائبة دون شك والتي أشعرتني أنني أقوى وأذكى بكثير مما تصورت.. ولحسن حظي بالطبع أن (ناصر) لم يتزوج بعد.. وإلا لغدا من المستحيل التسلل إلى بيته بوجود زوجته وربما أبنائه.

المهم أنني وصلت إلى غرفة المكتب دون مشاكل.. وقمت بإضاءة البطارية.. ثم رحت أمسح بشعاعها كل الأرفف بدقة شديدة.. مهمة شاقة وجبارة بكل تأكيد.. ولا تنسوا أيضا الحرارة الخانقة في غرفة المكتب والتي ملأت جبهتي وثيابي بالعرق!!!.. فالغرفة تعتمد على وحدة التكييف القديمة كحال كل الغرف في البيوت القديمة في (الكويت).. وبالطبع لن أتمكن من تشغيل وحدة التكييف تلك لأنها ستصدر صوتا واضحا قد يكشف أمري لو عاد (ناصر) بصورة مفاجئة.

كنت ألهث من شدة الحر وأنا أبحث بين الكتب.. وكان عزائي الوحيد هو أن عملية البحث ستكون أسهل نسبيا كوني أبحث عن كتاب بلغة أخرى غير العربية والإنجليزية.. كما أنه سيبدو مختلفا عن كتب هذه الأيام التي تطبع في مطابع فاخرة.. لكن يبقى العثور على الكتاب أمرا عسيرا بكل تأكيد.. لا شك أن (ناصر) كان يبحث عن نقود.. أو ذهب.. ولم يتوقع أبدا أن كلمة (سترة) هي في واقع الأمر كتاب باهظ الثمن.. هذا إن كنت محقا في استنتاجاتي بالطبع.

أتوقف قليلا بعد أن تملكني التعب.. وأنظر إلى الساعة بقلق.. لقد مضى على وجودي في بيت (شادن) نصف ساعة.. وسأحتاج إلى أضعافها كي أنتهي من بحثي في تلك المكتبة الضخمة.. وعامل الوقت ليس في صالحي بكل تأكيد.. حسنا.. هل أكمل البحث في الأرفف السفلية؟!.. أم أفتش في الأرفف العلوية مما يعني استخدام السلّم؟!.. ربما من الأفضل أن يبدأ البحث من الأرفف العلوية.. فمن المنطقي أن يكون الكتاب مخبّئا هناك متواريا عن الأنظار بين الكتب الأخرى.. هذا ما قلته لنفسي.

أمسكت بالسلّم.. وصعدت درجاته القليلة بحذر شديد لأستمر في البحث.. أكثر من ساعتين متواصلتين والقلق بدأ ينهش قلبي خوفا من عودة (ناصر).. وخوفا من خطأ استنتاجي.. إلى أن جاء الفرج أخيرا

حين وقع بصري على كتاب قديم جدا ومتهالك.. مكتوب بخط اليد كما هو الحال مع الكتب في ذلك الزمن.. وبلغة غريبة شبيهة باللغة العبرية أو العربية.. لقد بدا لي وكأنه أجمل شيء رأيته في حياتي!!!.

إنه هو.. هو دون أدنى شك.. لقد كنت محقا في كل استنتاجاتي.. يا إلهي.. هذا غير معقول.. غير معقول!!!.. ماذا سأفعل الآن؟؟!!.. سأفرح وأحتفل لاحقا.. علي الخروج من هنا أولا.. أمسكت الكتاب بقوة عازما على أخذه معي بالطبع.. لقد أصبح هذا البيت مكتبة عامة بالنسبة لي.. إذ خرجت بمذكرات (شادن) في المرة الأولى.. والآن أخرج بكتاب (سترة)!!!.. ابتسمت رغما عني عندما مر ذلك الخاطر بذهني.. وخرجت بحذر شديد غير مصدق أن دخولي إلى البيت للمرة الثالثة مر بسلام دون أن يكشف أحد أمري.

عندما عدت إلى البيت وإلى غرفتي تحديدا.. لم أكن أعرف الخطوة التي سأقدم عليها.. لكني قررت الاكتفاء بالنجاح الساحق الذي حققته حتى هذه اللحظة.. وقررت التفكير بالخطوة القادمة عندما أستيقظ غدا من النوم.. فأخذت حماما ساخنا.. وارتميت على الفراش بشعري المبتل.. و.. بسبب الإرهاق الشديد.. زرت عالم الأحلام بسهولة.. وقد كانت حبيبتي (شادن) بانتظاري هذه المرة أيضا.. نعم.. وجدتها مبتسمة.. تنظر إلي بحنان وامتنان بالغين.. صدقوني.. رأيتها سعيدة راضية تماما.. كانت تقف وسط عالم الأحلام مع الابتسامة الصافية.. الرائعة.. الجميلة!!!.. وكنت أنظر إليها بحنان جارف.. أعرف أنني غير قادر على وصف الحلم بصورة دقيقة.. والأسباب كثيرة شرحتها في قصتي أكثر من مرة.. لكن.. لا أعرف لماذا.. سيطر علي شعور غريب أثناء الحلم أن هذه ستكون زيارتها الأخيرة!!!.

عندما استيقظت في اليوم التالي.. كان هناك شعور عام بالحزن يسيطر علي رغم كل الانتصارات التي حققتها.. ربما بسبب ذلك الانطباع الذي لا أفهم سببه.. أن (شادن) لن تزورني في أحلامي مرة أخرى بعد أن حققت ما كانت تتمناه وعثرت على الكتاب.. مهلا.. ماذا عن الكتاب؟!.. هل تريدني أن أحتفظ به لنفسي؟!.. لا أدري.. لقد كانت تبدو سعيدة للغاية بما حققته فحسب.. ولم تعطني أي إشارة أخرى.. وكأنها اكتفت بتلك النهاية.

لكني لن أكتفي بذلك بالتأكيد.. كنت أريد انتقاما من شقيقها الحقير.. انتقاما يشفي غليلي.. وربما غليلها أيضا.. وهذا ما فعلته!!!.

فبعد شهر من تلك الحادثة.. اتصلت بـ(ناصر) من هاتف عمومي.. كنت أنوي أن أقضي عليه بالضربة القاضية.. فما سأخبره به قد يسبب له نوبة قلبية.. والحقيقة أنني تمنيت هذا.. فالوغد يستحق الموت بعد ما فعله بجده وشقيقته.. و:

- آلو..

قالها بتلك الطريقة المستفزة.. فرددت عليه ببرود شديد وأنا أبذل جهدا خارقا لتغيير صوتي:

- أتمنى أن يتحمل قلبك ما سأخبرك به.. أنا أعرف أنك تبحث عن الثروة التي تحدث عنها جدك في وصيته.. حسنا.. الثروة معي الآن.. وبالكامل!!!.

لم يرد.. شعرت أن المفاجأة أخرسته تماما.. لقد احتاج بضع ثوان كي يتمالك نفسه.. ليسألني باضطراب وبصوت متحشرج:

- مـ.. مـ.. ماذا تقول؟؟!!.. من أنت؟؟!!.. وكيف عرفت بأمر الوصية؟؟!.

قلت ببرود شديد وقسوة لا حد لها:

- من أنا؟؟!.. فلنقل أنني أسوأ كوابيسك!!.. أما كيف عرفت بالوصية فهذا ليس من شأنك.. وما يهم الآن هو أن الثروة معي.

حاول أن يتمالك نفسه ليقول بشيء من البرود:

- إنك تكذب علي.. لا شك أنك مدسوس من إحدى الفتيات.. الكثير من صديقاتي يعلمن بأمر الوصية وأنني أبحث عن ثروة مفقودة.

قلت وأنا أضحك ساخرا:

- لست مبعوثا من أحد أيها الحقير.. بل أملك الثروة بالفعل.. هل تعرف ما هي؟!.. إنها كتاب تاريخي أثري ثمين جدا حصل عليه جدك رحمه الله بطريقة غامضة عند زيارته لـ (الهند) منذ عشرات السنين.. هذا الكتاب الأثري يساوي ثروة حقيقية.. وهو بحوزتي الآن!!!.

سألني بصوت حاول أن يجعله صارما.. لكنه عجز عن ذلك.. فخرجت كلماته متوترة:

- كـ.. كـ.. كتاب؟؟!!.. الثروة هي.. هي كتاب؟؟؟!!.. كيف.. كيف حصلت عليه؟!.. و.. وماذا يتوجب علي أن أفعل كي آخذه منك؟؟!.. وكيف أعرف أنك لا تكذب علي؟!.

قلت له ببساطة وبرود شديدين:

- الكتــاب بحـوزتي.. ولن تحصــل عليـه يا عزيـزي إلا إذا وجدتني وقتلتني.. وهذا مستحيل بالطبع.. لأنك لن تعثر علي أبدا.. أما كيف أصبح الكتاب بحوزتي.. فهذا ليس من شأنك!!!.

رد بذهول شديد:

- لـ.. لـ.. لماذا اتصلت بي إذا؟؟!!.

رددت بدوري بقسوة بالغة حتى شعرت أنني وغد حقيقي:

- مممم.. لا يوجد سبب واضح.. ربما أردت أن أغيظك وأجعلك تضرب رأسك بالحائط.

عند هذا الرد تحديدا.. أكاد أقسم أن لسانه توقف تماما عن النطق.. وأصيب بشلل لحظي!!!.. لم يكن هذا كل شيء.. إذ أردت أن أسدد له ضربة قاضية عندما فجرت القنبلة:

- بالمناسبة.. سأقضي على كل ذرة شك لديك.. وسأجعلك تصدق أنني أعرف الكثير.. أكثر مما تتصور.. فمثلا.. أنا أعرف أنك قتلت شقيقتك (شادن).. ثم جعلت الأمر يبدو وكأنه انتحار.. أعرف أنك فلتّ من قبضة العدالة وخدعت رجال الشرطة.. ولكن على كل حال.. أنا من سيثأر لشقيقتك.. بل

أنني ثأرت لها ولجدها بالفعل.. فقد وجدت الثروة.. ولن تحصل عليها أبدا.. وهذا أكبر انتقام وثأر أحققه باسمهما.. والآن.. سأنعم أنا بهذه الثروة.. وستموت أنت بغيظك.

كنت أتوقع إنكارا أو مراوغة.. ولكن.. يبدو أن القساة غالبا ما يكونون جبناء.. فقد تلعثم الوغد.. وراح يهمهم بكلمات مرتبكة لم أفهم منها شيئا.. لأقول له ردي الأخير:

- كما قلت لك.. أعرف أنك قتلت شقيقتك.. وقد لا يكون هناك دليل مادي بعد وفاتها وتحلل جثمانها.. لكني على الأقل ثأرت لها.. وجعلتك تعرف أنني لا أكذب عليك بشيء.. وداعا أيها الوغد.. ولا تحاول الاتصال بهذا الرقم لأنني أتحدث إليك من هاتف عمومي.

أغلقت الخط بوجهه دون أن أمنحه أي فرصة للرد لأشعر بعدها بنشوى هائلة.. وأنني انتصرت.. انتصرت بالضربة القاضية.. صحيح أن (ناصر) سيبيع البيت في النهاية.. وسيظفر بمبلغ محترم.. لكني حرمته مما كان يبحث عنه لفترة طويلة.. حرمته من ثروة كاد أن يصاب بالجنون وهو يبحث عنها.. لقد سببت له أذى بالغا دون شك.. وهذا يكفيني تماما.

و.. هكذا عزيزي القارئ.. انتهت قصتي بأحداثها الغريبة العجيبة التي تفجر كل علامات الاستفهام.. انتهت بأحداثها التي لا أعتقد أن أحدا قد مر بها من قبل.. هل ظهرت (شادن) في أحلامي بعد ذلك؟؟!!.. لا.. لم تظهر إطلاقا.. كما توقعت تماما.. وكم أحزنني هذا في واقع الأمر.. وكم أبكاني.. لكن لا يوجد ما نستطيع فعله إن أحببنا فتاة ميتة.

لقد مر على أحداث تلك القصة شهران تقريبا تخرجت على إثرهما من المرحلة الثانوية.. ولم ينغص حياتي بعدها سوى غياب (شادن) عن أحلامي وابتعادها عن عالمي تماما .. ترى.. هل كانت تبحث عمن يثأر لها قبل أن تستقر روحها بسلام؟؟!.. هذا ما بدا لي.

وبالطبع لم يعرف أفراد أسرتي بعد عودتهم من السفر أي شيء عن مغامرتي المجنونة تلك.. أما أنا.. فقد فكرت طويلا بما سأفعله في هذا الكتاب.. هل سأستفيد من قيمته المادية؟!.. إذ لا يوجد هناك وريث آخر كما يبدو سوى ذلك الحقير (ناصر).. وهو قطعا لا يستحقه.. ربما سأترك الأمر للأيام.. بعد شهر.. أو سنة.. سأقرر حينها ما سأفعله.

كم كنت أتمنى أن تستفيد (شادن) من هذه الثروة.. لقد عانت المسكينة كثيرا.. عانت تعذيب شقيقها.. وعانت قسوته.. وعانت أمورا كثيرة أخرى لم تعد تخفي عليكم.. ماذا؟!.. تقولون أنها كان يجب أن تحمي نفسها بإبلاغ الشرطة عن قسوة أخيها؟؟!!.. تقولون أنها مغفلة والقانون لا يحمي المغفلين؟!.. أولا.. مقولة (القانون لا يحمي المغفلين) أراها سخيفة للغاية وغير منطقية.. فالقانون يجب أن يحمي المعاقين والمجانين والمغفلين.. بينما الذين لا يحتاجون إلى حماية هم الأذكياء!!.. ثانيا.. لا أعتقد أن خيار إبلاغ الشرطة عن قسوة الأهل متاح دائما ويحل المشكلة.. وإلا لفعلتها كل فتاة تتعرض لقسوة شقيقها أو والدها.. وما أكثرهن في عالمنا العربي مع الأسف.. فلو كانت قصة كهذه قد حدثت في الغرب.. لانتزعت الحكومة الفتاة من براثن أخيها.. وأوقعت به أشد عقوبة.

تبقى هناك أمور أخيرة لا زلت عاجزا عن فهمها.. فهل ممارسة تجربة (الخروج من الجسد) أمر خير؟!.. بمعنى آخر.. هل هي صواب أم خطأ؟!.. هل هناك شبهة دينية وراؤها؟!.. لا أعلم.. وإنني

على كل حال لا أوجه أي لوم إلى (شادن) لممارستها تلك التجارب.. فالإنسان بطبيعته ينشد الحرية.. ويرفض القمع والاستبداد.. وقد يفعل كل شيء وأي شيء في سبيل حريته.. أعتقد أنه مبرمج بيولوجيا على ذلك.

هناك أسئلة أخرى بالطبع في قصتي هذه تحتاج إلى إجابة.. فكيف حصل جد (شادن) على نسخة من كتاب (سترة)؟؟!!.. ماذا حدث لـ(شادن) بعد أن اختفت من أحلامي؟؟!!.. هل كانت روحها أو وعيها هائما بعد موت جسدها وكانت تنتظر من يثأر لها ويريحها في قبرها كما أخبرتكم؟!.. لا أدري.. هذه أسئلة لن أجد الإجابة عليها أبدا.. وهذا أمر طبيعي.. فنحن نتحدث هنا عن عالم ما وراء الطبيعة.. قد نموت دون أن نعرف ورأسنا يوشك على الانفجار من فرط علامات الاستفهام.

ولا أنسى أيضا نقطة هامة جدا.. إنني لم أخبركم باسمي حتى الآن كما لاحظتم.. فالواقع أنني أفضل أن يظل الأمر سرا.. لا أريد أن أكشف عن هويتي كي لا يعثر علي (ناصر).. ولا أعتقد أن اسمي سيصنع فارقا على كل حال.. المهم أنني اقتحمت عالم ما وراء الطبيعة.. وخرجت منتصرا.. مظفرا.. وقد ثأرت لحبيبتي (شادن) التي لم ألتقِ بها في عالم الواقع أبدا.. وأرجعت ميزان العدالة إلى وضعه الطبيعي لتكون كفتاه متعادلتين.. حتى وإن حدث هذا في وقت متأخر.. حتى وإن حدث هذا بعد رحيل حبيبتي (شادن) عن عالمنا.. لكنها ستظل في ذاكرتي.. وإلى الأبد.

((تمت))

إنـهم يلاحقونني.. «قصة قصيرة»

كنت أقود سيارتي عائدا إلى البيت في وقت متأخر من تلك الليلة الممطرة.. بعد أن قضيت ساعات طويلة في شقتي التي استأجرتها سرا لأمارس فيها كل الموبقات من شرب الخمر والمرح مع الفتيات الساقطات.. وحتى تعاطي الحبوب المخدرة!!!.. لا تستغربوا!!.. هكذا كانت حياتي بالفعل.. عبث ومرح وفجور طوال الوقت مع صحبة السوء.. فلا أخلاق.. ولا شهادة علمية.. ولا سعي لتأمين مستقبل لي!!.. بل هي مجرد وظيفة بسيطة في إحدى الوزارات تناسب إمكانياتي وتدر علي راتبا يكفيني تماما كرجل أعزب!!.. فينتهي آخر دينار مع نهاية الشهر.. لأنتظر بعدها راتب الشهر المقبل!!!.. وهكذا تدور عجلة حياتي الفارغة اللحظية التي أعيشها دون أدنى اعتبار للمستقبل.

المهم أنني كنت أقود سيارتي ليلتها متجاهلا كل ما تحذرنا منه قوانين المرور وكأنني أتوسل القدر أن أتعرض إلى حادث مروري!!!.. فأقود بعين نصف نائمة وبتهور شديد وسط الأمطار الغزيرة.. وعقلي غائب تماما بالطبع بسبب تأثير الخمر!!!.. و.. كما هو مفترض أن يحدث إزاء هذا التهور.. فقد انحرفت سيارتي عن مسارها.. وعندما حاولت السيطرة على الأمر.. اصطدمت بقوة بسيارة أخرى كانت تسير بقربي.. وانقلب العالم رأسا على عقب.. أو هذا ما شعرت به!!!.. فقد طارت سيارتي في السماء وكأنها شهاب محترق!!!.. ثم انقلبت أكثر من مرة.. وفقدت إحساسي بالعالم تماما بعد ذلك!!!.

عندما أفقت.. كنت أظن أن الحادث قد جرى منذ ساعات قليلة.. قبل أن أعرف من أشقائي أنني في مستشفى (مبارك) منذ أكثر من 6 شهور تقريبا!!!.. وأنني وقعت في غيبوبة طوال تلك المدة بعد أن تعرضت لإصابات خطيرة للغاية!!!.. إذ تحطمت بعض أضلاعي.. وأصبت بكسور عديدة ورضوض.. مع ارتجاج في المخ!!.

بالطبع كانت صدمة هائلة مروعة لم أتوقعها إطلاقا.. كوني ملقى هنا فاقدا للوعي أخضع لعلاج مكثف طوال هذه المدة.. وقد استغرق الأمر بضع ساعات قبل أن أستوعب كل هذا.. إلا أنني لحسن الحظ الآن في طريقي إلى التماثل للشفاء كما أكد الطبيب نفسه وهذا أهم ما في الأمر.

ظللت في المستشفى بضعة أسابيع أخرى بعد ذلك لاستكمال العلاج.. حتى تماثلت للشفاء وخرجت أخيرا عائدا إلى الحياة شاعرا أنني نجوت من الموت بأعجوبة!!.. كنت بالطبع لا أزال أعاني من آثار بعض الكدمات والخدوش التي تسبب بها ارتطام وجهي بعجلة القيادة وتناثر بقايا زجاج النافذة.. والتي أصابتني بدورها بجروح عديدة في أماكن متفرقة من جسدي.. بالإضافة أيضا إلى عرج خفيف في قدمي اليمنى.. وهي إصابات لا تحتاج إلا لفترة نقاهة أقضيها في البيت إلى أن أتعافى تماما.. لأتمكن بعدها من ممارسة حياتي الطبيعية من جديد.

ولا يفوتني أن أذكر لكم النصائح والمواعظ التي انهالت علي من قبل أشقائي وشقيقاتي.. إنها النصائح المعتادة من طراز:

((لقد أعطاك الله سبحانه وتعالى فرصة أخرى للحياة.. استغلها بعيدا عن الحرام وعن الحياة العابثة التي كنت تحياها)).

أو

((إن ما حدث لك هو درس من الله سبحانه وتعالى عقابا على ما كنت تفعله.. حاول الآن أن تقضي حياتك بعيدا عن المعصية)).

في البداية.. كنت أنوي فعليا الابتعاد عن الحياة العابثة التي عشتها قبل الحادث.. بل ورحت أخطط بحزم لما سوف أفعله خلال الفترة القادمة.. فوضعت لنفسي جدولا محكما لتنظيم حياتي بأكملها.. مع خطط مستقبلية مهمة.. كإكمال دراستي.. ثم البحث عن وظيفة ذات مستقبل في القطاع الخاص.. وقبل كل شيء -بالطبع- الابتعاد عن الحياة العابثة التي كنت أحياها!!!.. و.. بعد أسابيع إضافية قضيتها في البيت للنقاهة حيث استعدت فيها صحتي كاملة.. خرجت لأول مرة منذ 8 شهور تقريبا متوجها إلى مقر عملي وكل شيء كان يبشر بالخير وببداية جديدة.. قبل أن تتجه أحداث قصتي بصورة مفاجئة إلى مستنقع شائك من الغموض سيحيط بحياتي بأكملها!!!.

كان هذا عند وصولي لمقر عملي وبعد أن ركنت سيارتي في المواقف المخصصة لأتجه مشيا إلى مكتبي.. لا أعرف ما الذي جعلني ألتفت إلى الخلف.. ربما هو الشعور العام الذي يصيبنا جميعا ولا نستطيع تفسيره حين نشعر أن هناك من يراقبنا.. نعم.. هذا ما حدث.. فقد انتبهت إلى وجود رجلين يقفان على مسافة قريبة نسبيا من سيارتي ويحدقان بي بهدوء مريب!!!.. هل يطاردانني؟؟!!.. لا أعرف.. لكن.. لكن.. هذا ليس كل شيء.. فقد بدت هيئتاهما مريبة أيضا إلى حد ما.. حتى أن شعورا غريبا بعدم الارتياح سيطر علي دون أفهم السبب.. وكأنهما ينويان إيذائي.

لم يكن هذا كل شيء.. هناك ما هو أغرب.. فعندما التفت ناحيتهما.. لم يتشاغلا بالنظر إلى شيء آخر كما يحدث عادة.. بل ظلا ينظران إلي بثبات.. كأنهما يؤكدان لي أنهما يراقباني بالفعل!!!.

شعرت برجفة خفيفة في أعماقي.. لكني تمالكت نفسي.. وأكملت طريقي إلى مكتبي.. و.. دقائق قليلة في العمل.. قبل أن أنسى كل ما يتعلق بشأن الرجلين.. خاصة بعد أن فوجئت أن زملائي الموظفين قد أقاموا حفلا صغيرا بمناسبة سلامتي وخروجي من المستشفى معافى.. فأمضينا يوما كاملا في المرح والضحك وتناول الأطعمة الشهية التي تكدست على مكتبي.

عندما خرجت من العمل في فترة الظهيرة عائدا إلى سيارتي.. فوجئت بوجود نفس الشخصين اللذين رأيتهما في الصباح!!!.. كانا في مكان آخر قريب إلى حد ما من سيارتي.. ينظران إلي بعيون ثاقبة أشعرتني بخوف شديد هذه المرة!!!.. لماذا يفعلان هذا؟؟!!.. ماذا يريدان مني؟؟!!.

راح ذلك السؤال الذي نطرحه جميعا في تلك الظروف يطرق باب عقلي بقوة: هل لي أعداء يريدون إيذائي؟؟!!.. إنه سؤال قد يراه البعض مضحكا كونه يتكرر دائما في الأفلام والقصص البوليسية.. لكني أخذته محمل الجد!!.. قد يكونا شقيقين لإحدى الفتيات اللاتي أوقعتهن في حبائلي في السابق وهما الآن يريدان الانتقام مني وتأديبي.. هذا جائز.. ولكن.. لو كانا كذلك فلماذا يكتفيان بمراقبتي فقط

ولا يفعلان شيئا آخر!!!.. ترى.. ترى هل يخططان لأمر ما؟؟!!.. هل يريدان إيقاعي في شرك ما؟؟!!..

فكرت في أسهل الحلول.. وهو التوجه إليهما وسؤالهما مباشرة وبكل صراحة عما يريدان؟؟!!.. لكني لم أجرؤ!!.. نعم.. شعور غريب سيطر علي تماما ومنعني من الاقتراب ناحيتهما.. وجعلني أفكر فقط بتجنبهما والابتعاد عن أنظارهما!!!.

ركبت سيارتي متظاهرا بعدم الاكتراث.. ورحت ألقي نظرة عابرة على المرآة لأجد انعكاسهما وهما يحدقان بي في إصرار واضح!!!.. وكأنهما يريدان إيصال رسالة واحدة.. فحواها هو: نحن نراقبك!!!.

ازدردت لعابي بصعوبة.. وأدرت محرك سيارتي.. لأعود بعدها مسرعا إلى البيت.. لماذا لم يركبا سيارتهما ويتبعاني؟؟!.. لماذا تركاني أذهب؟!!.. هل يشكلان خطرا على حياتي؟؟!!.. من هما بالضبط؟؟!!.. أسئلة كثيرة لا إجابة عنها راحت تتقاذف في ذهني وتصيبني بقلق هائل!!!.

لم ينته الأمر عند هذا الحد كما كنت آمل.. بل زادت الأمور غموضا!!!.. ففي اليوم التالي.. خرجت من العمل في العاشرة صباحا عازما على الذهاب إلى مجمع (الفنار) التجاري!!!.. وهو أمر يفعله الموظفون طوال الوقت فلا حسيب أو رقيب في بلدنا الحبيب.. خاصة وأنني كنت أرى أن وظيفتي الحكومية هذه مؤقتة لحين تحقيق ما خططت له بعد الحادث من استكمال دراستي والتحاقي بوظيفة أفضل.

المهم أنني ذهبت إلى هناك.. وجلست في أحد المقاهي.. و.. نعم.. وجدت هذين المطاردين يتربصان بي أيضا!!!.. كانا يقفان في زاوية قريبة نسبيا من المقهى ويحدقان بي بثبات كما فعلا في الأمس.. عندها شعرت برعب حقيقي.. هذان الوغدان يتبعاني بالفعل!!!.. لا يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة.

فكرت جديا مرة أخرى في الذهاب والتحدث إليهما.. لكن.. الخوف.. الخوف.. الخوف سيطر على قلبي وعقلي وجعلني أخشى من مجرد الاقتراب منهما!!!.. إن مطاردة هذين الوغدين لي ونظراتهما الثاقبة قد صنعت حولهما حاجزا نفسيا غامضا رهيبا لم أشعر به من قبل.. ولا أجرؤ على اجتيازه!!!..

تركت المقهى.. ورحت أسير مسرعا محاولا الابتعاد عنهما.. لكني وجدتهما يسيران خلفي بإصرار وكأنهما يجمعان عني معلومات كاملة للحظة الحاسمة.. ما هي اللحظة الحاسمة؟؟!!.. ليتني أعلم!!!.. ترى.. هل هما من رجال المباحث؟؟!!.. ولكن.. لو كانا كذلك فلماذا يكشفان عن نفسيهما بهذه الطريقة الواضحة؟؟!!.. فعادة ما يراقب رجال المباحث الناس دون أن يشعروا بذلك!!!.. هذا أمر ندركه جميعا.. ليتني أعلم.. ليتني أعلم ما يحدث حولي!!!.

لم تتوقف الأمور عند هذا الحد.. بل ساءت إلى حد مخيف في الأيام التي تلت تلك الحادثة.. فقد تحولت حياتي إلى كابوس حقيقي.. بعد أن وجدت هذين المجهولين يلاحقاني في كل مكان أذهب إليه وكأنهما على علم مسبق بكل تحركاتي!!!.. ترى هل يراقبان هاتفي أيضا؟؟!!.. هل يراقبان تصرفاتي في

بيتي دون أن أعلم؟؟!!.. اقشعر بدني من هول الفكرة.. يا إلهي.. إنهما يحيلان حياتي إلى جحيم حقيقي.. خاصة بعد أن وجدتهما آخر مرة في الأمس وهما يسيران خلفي بإصرار مريب في السوق المركزي التابع لمنطقتنا.. هذا يعني أنهما يعرفنا أنني أسكن هذه المنطقة تحديدا.. وهذا يعني أيضا أنهما قادران على معرفة عنوان بيتي أيضا.. بل وربما يعرفان عنواني بالفعل!!!.. كل هذا تمهيدا لـ.. لـ.. لا أعلم في واقع الأمر ما ينويان فعله.. هذه هي المصيبة.. وهذا ما يقتلني قلقا!!.. فانتظار البلاء أشد كثيرا من وقوعه.. وأنا واثق أن هناك بلاء سيحل بي بعد هذه المطاردات التي تحمل طابع رجال المخابرات!!!.

فكرت كثيرا في الأمر.. فكرت مرة أخرى وأخرى أن أتحدث إليهما.. لكني لم أجرؤ.. لم أجرؤ.. ذلك الحاجز النفسي يجعلني -لأسباب مجهولة- عاجزا عن التوجه إليهما ومواجهتهما!!!.. ولا أعتقد على كل حال أن حديثي معهما سيأتي بنتيجة.. فعندما يتبعك أحدهم بهذه الطريقة المخيفة.. لن ينفع التوجه إليه ومحادثته بصورة حضارية.. ربما أفضل ما يمكن فعله هو التوجه إلى مخفر المنطقة للإبلاغ عما يحدث.. نعم.. هذا أفضل الحلول.. كيف لم أفكر بهذا منذ البداية؟؟!!.. لا أدري.

توجهت إلى المخفر بالفعل.. وقد أخذ رجال الشرطة قضيتي بجدية بالغة والحق يقال.. وإن استغرب الضابط كثيرا من ملاحقة هذين الشخصين لي بتلك الطريقة الوقحة!!!.. ثم قام بعد ذلك بتعميم أوصافهما على جميع المخافر.. وطلب مني أيضا الاتصال بالشرطة لو رأيتهما مرة أخرى.

ولكن.. عندما خرجت من المخفر.. بدأت أفكر بأمر آخر.. لقد مارست الكثير من الأعمال غير القانونية.. كشرب الخمر وتعاطي الحبوب المخدرة.. وبيعها أحيانا.. قد يكون لهذين المطاردين علاقة بأفعالي السوداء.. ولو ألقى رجال الشرطة القبض عليهما.. فربما سيكشفان كل جرائمي.. نعم.. من الأفضل أن أبعد رجال الشرطة تماما عن الأمر.

ظللت على هذا الحال مطاردا خائفا حائرا لأسابيع طويلة شعرت فيها برعب سمم حياتي بأكملها.. خاصة بعد أن تأكدت أن الوغدين يعرفان عنوان بيتي أيضا!!!.. نعم.. ففي أكثر من مرة كنت أخرج من البيت.. لأراهما ينتظراني في الخارج.. فأعود مذعورا إلى الداخل .. هل سأستيقظ يوما لأجدهما في غرفتي؟!!.. يا إلهي.. هذا التصور مخيف للغاية.

تسألونني ماذا حدث بعد ذلك؟!.. حسنا.. لقد انتهت قصتي فجأة!!!.. نعم.. هكذا دون سابق إنذار.. ودون أي مقدمة للنهاية كما يحدث غالبا في القصص.. لأنني عرفت سر ما يحدث طوال الأيام الماضية.. ولكن ثمن معرفتي بالسر كان فادحا.

يجب أن أخبركم أولا أنني لم أتعلم الدرس بكل تأكيد.. فقد تحدثت في البداية بعد خروجي من المستشفى ونجاتي من ذلك الحادث عن نيتي في البدء من جديد واستكمال دراستي.. و.. إلخ.. من تلك الوعود التي نقطعها على أنفسنا دائما عندما نتعرض لهزة عنيفة في حياتنا.. لكنا غالبا ما ننسى كل شيء.. ونبدأ تدريجيا بالوقوع في ذات الأخطاء.. حتى نجد أنفسنا في النهاية وقد تراجعنا كثيرا وعدنا إلى نقطة البداية.

فبعد نجاتي من ذلك الحادث اللعين.. كنت أتلقى اتصالات هاتفية من الفتيات العابثات اللاتي رحن يزين لي العودة إلى الرذيلة.. في البداية رفضت ذلك بشدة.. لكني مع مرور الأيام.. تنازلت قليلا.. وقررت أن أعود إلى العبث مع الفتيات فحسب والابتعاد عن شرب الخمر وتعاطي المخدرات.

ولأن تنازلا كهذا سيجر خلفه تنازلات أخرى بكل تأكيد.. فقد عدت شيئا فشيئا لممارسة كل ما كنت أفعله قبل الحادث الأول.. لماذا أقول: الحادث الأول؟؟!!!.. لأنني تعرضت لحادث مروري آخر.. نعم.. فأنا لم أعِ الدرس في المرة الأولى كما قلت لكم.. الفارق أن هذه المرة كانت الخسارة فادحة.. وإلى حد لا يصدق!!!.. فعندما خرجت من شقتي بعد سهرة طويلة امتدت حتى الصباح مع إحدى الفتيات العابثات وعقلي غائب تماما بسبب تأثير الخمر.. رحت أقود السيارة دون وعي.. تماما كما حدث في المرة الأولى.. حتى وصلت إلى البيت.. وليتني لم أصل..

لأنني هذه المرة قمت بخطأ جسيم.. إذ لم أضغط على دواسة الكابح.. بل على دواسة الوقود!!!.. تخيلوا هذا.. فتوجهت السيارة بقوة ناحية حديقة منزلنا الداخلية.. وقبل أن أنتبه وأتخذ أي ردة فعل.. اصطدمت بالسور.. ثم بابنة شقيقتي الصغيرة التي كانت تلعب داخل الحديقة في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم اللعين.. فماتت المسكينة فور الحادث ولم نجد الوقت حتى لأخذها إلى المستشفى.

كانت كارثة بالطبع.. كارثة مروعة.. لقد قتلت ابنة شقيقتي التي لا يتجاوز عمرها 5 أعوام وأنا في حالة سكر!!!.. لا داعي للحديث عن ردة فعل أفراد العائلة أو عن زوج شقيقتي الذي كاد أن يفتك بي.. ولا عن شقيقتي نفسها التي صفعتني بعنف وهي تصرخ وتنتحب.. ولا داعي أيضا للحديث عن تحقيقات الشرطة والتهم العديدة التي وجهت لي.. هذه أمور مفروغ منها أتركها لخيالكم.

لقد ظللت مسجونا بضعة أسابيع لاستكمال التحقيقات.. قبل أن يتم الإفراج عني مع تعميم اسمي على جميع منافذ البلد لمنعي من السفر إلى حين صدور حكم القاضي والذي سيستغرق بعض الوقت كما هو الحال دوما مع القضاء.

كنت أدرك جيدا أنني دمرت حياتي بنفسي تماما هذه المرة وأنها لن تعود أبدا كما كانت.. لكني لم أدرك أبدا أن تلك الحادثة اللعينة التي راحت ضحيتها ابنة شقيقتي.. كانت المفتاح الذي فتح لي نافذة على عالم لم أعرفه من قبل.. عالم الميتافيزيقيا!!!.. هذا العالم الذي لم أعرفه يوما ولم أتعب نفسي بمجرد التفكير فيه.

فبعد انتهاء التحقيقات وخروجي المؤقت من السجن انتظارا لحكم المحكمة.. قضيت وقتي كله في شقتي وقد قررت أن أبتعد تماما عن حياتي العابثة.. وأن أذهب إلى البيت وأتوسل شقيقتي وزوجها وأشقائي جميعا أن يسامحوني على ما حدث.. وأن يغفروا لي.. حتى لو فتكوا بي وأوسعوني ضربا.. إذ لم أعد أكترث كثيرا لما سيحدث.. فقد قررت التوبة.. قررت الابتعاد عن الحرام والبدء من جديد.. لا توجد هناك دروس وعبر أكبر مما تعرضت له كي أدرك أن علي التغيير والابتعاد عن الموبقات.. أحمد الله مليون مرة أن والديَّ قد توفيا منذ زمن.. وإلا لكنت قد قضيت عليهما بنفسي بسبب تصرفاتي الطائشة.

خرجت من شقتي وقد أقسمت على عدم العودة إليها.. عازما الذهاب إلى بيت العائلة.. فكانت الدموع تملأ عينيّ والمرارة تعتصر قلبي حزنا على ابنة شقيقتي التي قتلتها بنفسي.. قبل أن.. قبل أن تتوقف حياتي بأكملها وأنسى العالم كله للحظة.. أو هذا ما شعرت به.. عندما فتحت باب سيارتي.. لأنتبه فجأة إلى الشخصين اللذين كانا يطارداني طوال الأيام الماضية!!!!.. لقد نسيت كل ما يتعلق بشأنهما بعد مصرع ابنة شقيقتي.

كانا يقفان بالقرب من سيارتي يحدقان بي في ثبات.. ولكن.. لم يكونا لوحدهما.. فهذه المرة.. كانت برفقتهما فتاة صغيرة.. نعم.. تماما كما تظنون.. إنها ابنة شقيقتي التي قتلتها بالخطأ!!!!.. إنها تقف معهما بثبات.. وجميعهم يحدقون بي بشكل سبب لي رعبا ما بعده رعب!!!.

في البداية لم أستوعب ما رأيت.. ولم أفهم ما يحدث.. ولكن.. بعد لحظات من توقف قلبي عن الخفقان من هول المفاجأة.. أدركت ما يحدث.. و.. فهمت أخيرا.. فهمت الحقيقة المخيفة!!!.. فالشابان اللذان كانا يطاردانني طوال الوقت هما من اصطدمت بسيارتهما وتسببت بمصرعهما في الحادث الأول!!!.. نعم.. كنت قد نسيت كل ما يتعلق بشأن الحادث الأول.. فلم أعرف ما جرى لصاحب السيارة التي اصطدمت بها.. أو من كان برفقته.. لا تنسوا أنني وقعت في غيبوبة استمرت شهورا طويلة.. لذا فقد تناسى الجميع الأمر.. وعندما استيقظت من غيبوبتي وتعافيت.. لم يهتم أحد من أفراد عائلتي إلا بسلامتي أنا.. فلم يتحدث أحد عن القضية التي سجلت بحقي وعن استدعاء المحكمة الذي سيتم إن عاجلا أو آجلا بعد شفائي!!!.. لقد نسي الجميع تلك القضية تماما.

وعرفت فيما بعد أنني انحرفت بسيارتي لتصطدم بسيارة أخرى يقودها شاب في مثل عمري برفقة صديقه.. وتسببت بمقتلهما بعد أن انقلبت سيارتهما بدورها أكثر من مرة.. وتبين أيضا أن الضحيتين من جنسية عربية وأن لا أقارب لهما في (الكويت) لمتابعة قضيتهما!!!!.. لذلك لم يتم استدعائي للمثول أمام القاضي في قضيتي الأولى حتى الآن.. حتى أنني نسيت كل ما يتعلق بشأنها بعد تلك الغيبوبة الطويلة!!!..

نعم.. إنهما من كانا يطاردانني طوال الوقت بعد نجاتي من الحادث.. لقد تسببت بموتهما.. فراحت أشباحهما تطاردني في كل مكان لتذكرني بفعلتي الشنيعة!!!.. وعندما قتلت ابنة شقيقتي في الحادث الثاني.. انضمت بدورها إلى قائمة ضحاياي.. وإلى قائمة أشباحي!!!.. وأصبحت تطاردني أيضا.. هؤلاء الذين يلاحقونني إذا ليسوا سوى أشباح ضحاياي.. إنهم يطاردونني ربما إلى الأبد.. ليذكرونني بفداحة ما فعلت.

لقد أصبحوا مع مرور الأيام يظهرون لي في البيت!!!.. وفي غرفتي نفسها ليذكرونني دائما بجرائمي!!!.. تخيل أن تنام في غرفة نومك بوجود 3 أشباح تقف بجانب فراشك وتنظر إليك بثبات.. تخيل أن تكون مطاردا طوال الوقت من أناس تسببت بموتهم.. ولا يمكن لأحد أن يراهم سواك.

ربما لهذا كنت أخشى الاقتراب من هذين الشابين في بداية قصتي.. لأن شيئا ما كان يشعرني بعدم الارتياح ناحيتهما.. فهما ليسا سوى شبحين!!!.. من الطبيعي أن نشعر بشيء من النفور من الأشباح.. لقد حاولت فيما بعد أن أتحدث إليهم.. وأرجوهم أن يتركوني لحالي.. لكني لم أجد منهم أي رد.. فهم لا

يفعلون سوى التواجد بجانبي والتحديق بي طوال الوقت دون أن يراهم أحد سواي.. وكأنهم يريدون إصابتي بالجنون انتقاما مني على ما فعلت.

أحيانا كثيرة أفكر بالانتحار.. وأحيانا أخرى أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرحل هؤلاء وألا أراهم مرة أخرى.. لقد نَمَت لحيتي.. وقل اهتمامي بنفسي كثيرا.. فلم أعد أكترث لأي شيء.. أو أي أحد.. حتى فقدت إحساسي بالزمان والمكان.. وصرت على وشك الإصابة بالجنون فعليا بعد أن انتهى كل شيء بالنسبة لي.. وأصبحت حياتي جحيما لا يطاق!!!..

وأخيرا.. هناك نصيحة أوجهها لكم جميعا.. لو تسببتم يوما بقتل أحد لا قدر الله.. فابحثوا عنه بين وجوه الناس في الأسواق أو في الشارع.. ربما سترونه واقفا هناك يراقبكم ويتربص بكم.. وربما سيطاردكم طوال العمر ليذكركم بفداحة ما فعلتم.. تماما كما حدث معي.. ولكن.. لا أعتقد أن هذا سيحدث مع أحد منكم.. فقتل الآخرين ليس أمرا يفعله كل الناس لحسن الحظ.. إذ لا يفعله سوى التعساء والأوغاد.. أمثالي!!.

((تمت))

في ذلك اليوم..   «قصة قصيرة»

هكذا تكون الأمور دائما.. فعندما تأتي نهايتك وتمر بلحظات الاحتضار.. تبدأ تفكر في حياتك بأكملها.. وتتذكر أمورا لم تتوقع يوما أن تتذكرها.. أو هذا ما يحدث معي الآن على الأقل في لحظات احتضاري.. فأنا أتذكر الآن كل تفاصيل حياتي.. حتى الدقيقة منها والتي لم أظن يوما أنني قادرة على تذكرها!!!.. خصوصا حين تم اكتشاف ذلك التشوه الخلقي النادر في قلبي وأنا طفلة لا يتجاوز عمري الـ 6 أعوام.. وأتذكر أيضا عجز الأطباء التام عن إيجاد حل لذلك التشوه اللعين.. ولا أنسى أبدا محاولات والدي الدائمة ومراسلته لأفضل مستشفيات العالم عل أحدهم يملك علاجا لحالتي.. لكن الرد كان دوما مخيبا للآمال.. فلم يتوصل الطب إلى علاج لهذا النوع من التشوه الخلقي حتى الآن.. وهذا يعني ضرورة حصولي على رعاية خاصة طوال الوقت كي استمر على قيد الحياة!!!.. فالانفعالات الزائدة ممنوعة تماما.. القلق ممنوع.. الخوف ممنوع.. الغضب ممنوع.. تصوروا صعوبة تربية طفلة تعاني مرض كهذا!!!.

وكون والدي رجل أعمال معروف يستطيع أن يوفر لي كل احتياجاتي.. فقد ساعد هذا كثيرا في تربيتي وتدليلي وتنفيذ كل طلباتي لأكون بعيدة عن أي انفعال قد يعرض حياتي للخطر.. حتى أنني لا أذكر أنه رفض لي طلبا يوما.. لذا فقد عشت طفولة جميلة للغاية كنت فيها مبتسمة سعيدة طوال الوقت.. وكانت والدتي وإخوتي بدورهم يعاملونني بتدليل مبالغ به ويغمرونني بحبهم وحنانهم طوال الوقت.. فشعرت في فترة طفولتي أنني أميرة حقيقية سأرث العالم بأكمله يوما.

ولكن.. هناك أمرا واحدا لم يتمكن أفراد أسرتي من توفيره لي.. إنه الحب .. العثور على فارس الأحلام الذي سأعيش معه سعيدة طوال العمر.. فمع مرور السنوات ووصولي إلى سن المراهقة.. أدركت مدى حاجتي للحب.. مدى حاجتي إلى رجل يكون بجانبي ويهتم لأمري.. هذه غريزة لا يمكن تجاهلها والتنازل عنها مهما كان وضعي الصحي.. المشكلة أن هناك عواقب شديدة لهذا الحب الذي سيؤدي إلى الزواج بطبيعة الحال.. فبسبب هذا المرض.. لن أتمكن من الإنجاب.. وربما لن أتمكن حتى من أداء واجباتي الزوجية نحو زوجي.. لذا كان أمر زواجي ميئوسا منه تقريبا.. لكني رغم ذلك لم أتوقف أبدا عن الحلم.. الحلم بذلك الشاب الشهم الذي سيجعلني أميرة بيته.. بعدما كنت أميرة بيت والدي.

كنت في فترة المراهقة أحاول أن أعيش الحب في القصص والأفلام فقط.. فتارة أعيش قصة حب وهمية مع الممثل الفلاني.. وتارة أخرى مع المطرب الفلاني.. وهكذا..

وهذه بالطبع حلول مؤقتة.. فبعد وصولي إلى سن العشرين وبداية النضج.. أدركت مدى حاجتي إلى علاقة حب حقيقية.. إلى شخص يسعى جاهدا لكسب رضاي ويجعلني الملكة المتوجة على عرش قلبه.. خاصة وأنني فتاة جميلة جدا.. أدرك هذا جيدا من نظرات الشباب وهمساتهم التحتية أثناء خروجي مع والدتي.. فأشعر بشيء من الفرحة كأي أنثى تنال إعجاب الرجال.. لكن حين أتذكر

وضعي الصحي وأن أحدا لن يتقدم لطلب يدي من والدي.. أتحسر لحالي وأندب حظي.. فالحياة بدون حب بالنسبة للأنثى هي ليست حياة بكل تأكيد!!!.

لقد فقدت الأمل تماما في العثور على فارس الأحلام مع مرور الأيام.. قبل أن أدرك أنني مخطئة.. وأن الأمور ستتغير تماما بعد أن تقدم ذلك الشاب لخطبتي!!!.. نعم.. كان أول شاب يتقدم لخطبتي.. الأمر الذي فاجأ جميع أفراد العائلة.. أولهم أنا بطبيعة الحال.. فموضوع التشوه الخلقي الذي يعانيه قلبي معروف لدى الجميع.. المهم أن هذا العريس المنتظر كان وسيما للغاية وذو سمعة طيبة جدا كما عرفت.. ويحمل أيضا شهادة الدكتوراه في الهندسة الكيميائية.. لم يكن يعيبه سوى أنه من أسرة عادية جدا لا يمكن أن تقارن بأسرتي التي تعتبر من أعلام المجتمع.

بالطبع أثار الأمر استغرابي كثيرا في البداية.. حتى اختلطت لدي مشاعر الدهشة والفرح في مزيج غريب لم أعرفه من قبل.. أما والدي فكان -كأي رجل ثري- يظن أن هذا الشاب يلهث وراء المال وأنني لست سوى جسرا لتحقيق طموحاته.. لذا فقد رفض هذا الزواج تماما ولم يقبل حتى مناقشة الأمر!!!.. أما أنا فقد كنت مترددة إلى حد ما.. إذ شعرت في البداية أنني مقتنعة بكلام والدي.. لكن بعد أيام من التفكير.. وجدت أن لا ضرر هناك إن أعطيت ذلك الشاب الفرصة لألتقي به وأتبادل معه أطراف الحديث على الأقل وأعرف منه أسباب تقدمه لفتاة مثلي.

نقلت خواطري تلك إلى والدي ووالدتي بكل صراحة.. فهذا ما تعودته منذ طفولتي.. أن أتحدث مع جميع أفراد أسرتي بكل صراحة.. لكن والدي أصر تماما على موقفه.. بل ورفض مجرد التفكير في الأمر!!!.. أما والدتي وأشقائي فقد اقتنعوا بوجهة نظري.. ورأوا أننا لن نخسر شيئا بالفعل لو أعطينا الشاب الفرصة لزيارتنا كي نلتقي به ونعرف عنه المزيد.. و.. شيئا فشيئا.. بدأ والدي يقتنع بوجهة نظري.. إلى أن رضخ أخيرا لتوسلاتي.

وهكذا.. حانت اللحظة الموعودة!!!.. إذ جاء العريس المنتظر إلى بيتنا أخيرا برفقة والدته.. كان شابا وسيما بالفعل.. طويل القامة ذا بنية رياضية.. ويخلب لب أي فتاة دون مبالغة.. أما والدته فبدت لي بدورها امرأة طيبة للغاية.

- هذه بداية مشجعة كما يبدو.

قلت هذا لنفسي قبل أن نتبادل عبارات المجاملة ويتشاغل عنا الجميع بعد دقائق قليلة كما يحدث عادة في تلك المناسبات.. فجلست معه في أحد أركان صالة البيت لأعرف عنه المزيد ونتحدث بكل صراحة.. ليخبرني أنه ينحدر من أسرة عادية جدا كما علمتم.. إلا أنه كافح طويلا للحصول على شهادة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف ليصبح أستاذا في كلية الهندسة في جامعة (الكويت).. وعندما سألته عن أسباب رغبته بالزواج من فتاة مريضة مثلي تعجز عن الإنجاب والمعاشرة الزوجية.. أخبرني أن لا مشكلة في الأمر.. لأنه لا ينجب أيضا!!!.. وأنه يملك الأوراق الطبية التي تثبت كلامه.. لذا فالإنجاب لن يكون مشكلتي وحدي.. حسنا.. هذا يفسر إلى حد كبير رغبته بالزواج مني كوننا متعادلان إلى درجة كبيرة.

لقد أخبرني كذلك أنه رآني في أحد المقاهي الشهيرة.. وقد خلبت لبّه على حد قوله.. ولم يتمكن من منع نفسه من اللحاق بي دون أن يثير انتباهي.. فتبعني بعد خروجي من هناك إلى أن عرف عنوان منزلي.. ليستخرج بعدها كافة المعلومات عني.. إلا أنه كان يخشى كثيرا عدم موافقة أسرتي على الزواج بسبب الفارق الاجتماعي الذي يصب في صالحي بكل تأكيد.

تحدثنا بعدها عن كل شيء آخر.. أذواقنا في الموسيقى.. أطعمتنا المفضلة.. هواياتنا.. طباعنا.. ولا أنكر أنني التمست تشابها كبيرا بيننا مما ترك لدى الجميع انطباعا طيبا للغاية.. و.. بعد هذا اللقاء.. شعرت بأنني سأصبح زوجته.. وأنه الرجل الذي أريد أن أعيش معه طوال العمر.

لن أدخل في التفاصيل التي تلت ذلك اللقاء.. فبعد الكثير من التردد والتفكير.. وبعد أيام من النقاش بين أفراد أسرتي حول هذا الأمر.. وبعد لقاء آخر وآخر مع ذلك الشاب.. تمت الموافقة أخيرا!!!.

وهكذا تحقق حلم حياتي وتزوجنا في حفل زفاف بهيج خلب لب جميع أقاربي وأقاربه على حد سواء.. لنعيش بعدها أياما رائعة بحق.. فكان نعم الزوج والصديق.. كما كان شديد الاعتزاز بنفسه.. إذ لم يقبل أي مساعدات مالية مني رغم الأموال الهائلة التي أمتلكها في رصيدي.. بل أصر دوما على الاعتماد التام على نفسه.. وهذا لم يضايقني إطلاقا!!!.. إذ أثبت لي أنه تزوجني لأنه أحبني فحسب ولم يلتفت أبدا إلى الماديات كما كان والدي يظن.. فشعرت أن الله سبحانه وتعالى يعوضني أخيرا بهذا الزواج.. وأنني سأعيش حياتي كأميرة في بيت زوجي.. تماما كما كنت في بيت والدي.

هذا بالطبع قبل أن تأتي تلك اللحظة التي انتهى فيها كل شيء دفعة واحدة كما ذكرت في بداية قصتي!!!.. فبعد مرور شهور قليلة على زواجنا واستقرارنا في تلك الشقة الأنيقة.. كنت في مساء ذلك اليوم أعد عشاء خفيفا بانتظار زوجي الذي تركني لاجتماع عاجل مع زملائه في الكلية.. فرحت أتفنن في تجهيز العشاء.. شموع حمراء.. إضاءة خافتة.. باقة ورد جميلة تزين منضدة الطعام.. قبل أن يطرق أحدهم الباب و:

- عفوا سيدتي.. أنا صديق زوجك.. أردت فقط أن أسلمه أمانة.. مبلغا من المال كنت قد اقترضته منه منذ فترة.. وها أنا أعيده إليه.. لقد اتصلت على هاتفه النقال لأبلغه بقدومي.. لكنه لا يرد على اتصالاتي.. وقد كنت قريبا من هنا فوجدتها فرصة لتسليمه المبلغ.

رددت باعتذار:

- إنه ليس هنا مع الأسف.

قال وهو يزفر بقوة:

- هل أستطيع أن أترك المبلغ معك؟؟!.

نظرت من العين السحرية.. فوجدت رجلا حليق الوجه يرتدي ثيابا رياضية.. ويمسك بيده مظروفا صغيرا يحوي المبلغ على الأرجح.. تنحنحت من خلف الباب.. وقلت باعتذار:

- إنه في الكلية يحضر اجتماعا هاما.. ربما لهذا لم يرد على اتصالاتك.

كنت أقول هذا الكلام وأنا أدير مقبض الباب لأفتحه وأستلم منه المبلغ.. وإذا بالحماس يدب فجأة في كل ذرة من جسد الرجل.. ليركل الباب بشكل مفاجئ وبكل قوته!!!.. حتى أن الباب اصطدم برأسي فوقعت على الأرض مذهولة من المفاجأة.. وقبل أن أستوعب ما يحدث.. دخل مسرعا إلى الشقة.. وأقفل الباب خلفه وهو ينظر إلي بشراسة!!!.

لم أتمكن من الصراخ.. لأن لساني انعقد تماما من شدة الرعب وأصبت بشلل لحظي.. فرحت ألوح له بيدي أن يبتعد عني.. قبل أن يخرج من جيبه مسدس ويصوبه ناحيتي.. إنني لم أرَ في حياتي أسلحة سوى في السينما.. فكان شكل المسدس مخيفا بحق.. حتى أنني خرست تماما وابتلعت صرختي.. وشعرت بتلك النوبة اللعينة في قلبي.. إن قلبي لا يحتمل هذه الانفعالات!!!.. اللعنة إنني.. إنني....

- إن نطقت بحرف.. أقسم بأنني سأقتلك!!!.. لن أؤذيك إلا إذا حاولت الصراخ.. فلا تتصرفي بحماقة.

لم أرد.. بل كنت ملقاة على الأرض أعاني آلاما مبرحة في قلبي.. أحاول أن أتنفس دون ألم.. أضغط على صدري بقوة.. آملة أن تمر النوبة بسلام.. لحظات قليلة قبل أن أشعر أنني أفضل حالا وأن قلبي قد عاد ليمارس عمله مرة أخرى.. ليقول الرجل بحزم وصرامة:

- اسمعي جيدا.. إنني هنا لأقتل زوجك!!.

شهقت ووضعت يدي على فمي لا شعوريا.. ثم قلت بذعر:

- لماذا؟؟!.. لماذا تريد قتل زوجي؟؟!.

رد علي ببرود شديد وكأن الأمر لا يعنيه:

- كل ما أستطيع قوله هو أن هناك ثأرا قديما بيننا.. وأنني الآن أريد أن أصفي حسابي معه!!!.. لقد تتبعته إلى أن وصل إلى مقر عمله في الكلية.. ثم عدت مسرعا إلى هنا استعدادا لقتله.. فأفضل مكان لقتل إنسان هو في بيته.. سيدخل دون أن يتوقع للحظة أنني في انتظاره.

سكت قليلا وكأنه يرى تأثير كلامه علي.. ثم أردف بحقد:

- سيكون مشهدا رائعا بكل تأكيد!!!.

ازدردت لعابي بصعوبة.. وكدت أن أقول شيئا.. أي شيء.. لكنه لم يسمح لي بالحديث.. بل أشار إلي بيده وهو يقول:

- ممم.. إنني أشم رائحة طيبة.. هل كنت تعدين العشاء.. هذا جيد.. أعدي لي الطعام.. هيا.

نظرت إليه باستغراب شديد.. والدموع متجمدة في عينيّ تنتظر فقط لحظة انطلاقها.. لأقول بضراعة:

- تقتحم شقتي.. وتريد أن تقتل زوجي.. ثم تطلب مني أن أعد لك العشاء؟؟!!.. أي جنون هذا؟؟!.. إنك....

قاطعني بصرامة:

- ومن قال أنني أطلب منك؟!.. إنني آمرك.. وما عليك سوى التنفيذ!!.. هيا.. افعلي ما أمرتك به.. ولو حاولت القيام بأي عمل أخرق فسأقتلك أنت أيضا.. أقسم بذلك.. لن يكون هناك فارقا كبيرا لو ارتكبت جريمتين بدلا من واحدة.

نظرت إليه طويلا دون أن أرد.. نبضات قلبي تتزايد.. أشعر بشيء من الوهن.. لكني أحاول بجهد جبار السيطرة على نفسي.. فنهضت من مكاني بصعوبة بالغة متجهة إلى المطبخ.. لم تكن لدينا خادمة كأي زوجين حديثي الزواج.. كنا قد طلبنا واحدة قبل بضعة أسابيع لكنها لم تصل بعد!!!..

وفي المطبخ.. رحت أعد له عشاءه اللعين وجسدي يرتجف بالكامل.. أفكر بطريقة لإنقاذ زوجي.. كيف؟!.. كيف؟!.. أنظر حولي.. أبحث عن شيء بنظرات متوترة.. أي شيء.. وكأنني أترقب معجزة ما.. يا إلهي.. ماذا سأفعل؟!.. لا يمكن أن أصل إلى الهاتف الموجود في صالة الشقة بطبيعة الحال.. ولا يمكنني أن أصرخ لألفت انتباه الجيران.. أخشى أن يقتلني إن فعلت.. مهلا.. مهلا.. سكين المطبخ!!!.. نعم.. أستطيع أن أستخدمه كسلاح.. ولكن.. أين سأخبئه؟؟!.. إنني أرتدي ثياب السهرة انتظارا لزوجي.. ولا تحوي تلك الثياب أي جيوب لإخفاء سكين.. ثم أنني لا أستطيع أن أخرج من المطبخ ممسكة به.. سيراه القاتل بالطبع وقد يصوب مسدسه نحوي قبل أن أقترب منه.

قطع حبل أفكاري رنين جرس هاتفي النقال الذي جعلني أنتفض بقوة.. فركضت إلى صالة الشقة حيث تركته.. وإذ بالقاتل المجهول ممسكا الهاتف بيده.. ويشير إلي بالمسدس بيده الأخرى وكأنه يهددني بالقتل إن فكرت بالرد.. ثم.. نظر إلى شاشة هاتفي وهتف مبتسما:

- آه.. إنه زوجك!!!..

قلت بضراعة:

- أرجوك دعني أرد على الهاتف.. إنه يتصل بي باستمرار عندما يكون غائبا ليتأكد من سلامتي.. أرجوك.. إنني أعاني من مشكلة في قلبي.. وهو يخشى علي كثيرا و.....

قاطعني بضجر وهو يقول:

- أعرف.. أعرف.. إنني أعرف كل شيء عنكما!!!.. لكني لن أسمح لك بالرد على الهاتف.. لا أستطيع المخاطرة.

نظرت إليه بذهول.. هذا الوغد.. إنه يعرف عنا الكثير كما يبدو.. و.. هذه المرة هاتف الشقة يرن بإصرار!!!.. إنه زوجي الحبيب بكل تأكيد.. لا شك أنه شعر بالقلق لعدم ردي على الهاتف النقال.. لكن الوغد نظر إلي وهو يهز رأسه نفيا.. ثم قال بسخرية قاسية:

- هذا جيد.. اتصالاته المتكررة وعدم ردك سيعجل بعودته.. ومن ثم قتله.. أريد أن أنهي الأمر بسرعة.. والآن هيا.. إنني بانتظار العشاء!!!.

لم أقل شيئا.. بل مشيت بصعوبة بالغة إلى المطبخ لآتي له بعشائه والألم يتزايد في قلبي.. ليتني أملك السم كي أملأ به طعامه كما يفعلون في الأفلام.. ولكن.. من يفكر بالاحتفاظ بالسم في بيته؟!.. المهم أنني جئت له بالعشاء.. فأمرني بالجلوس على الأرض في زاوية الصالة البعيدة عن الباب.. وراح يلتهم الطعام كالمجنون.. في حين أنظر إليه بقلق بالغ.. ثم.. بدأ يطرح علي بعض الأسئلة من طراز:

- هل تحبين زوجك؟!.

أو..

- هل أنت سعيدة معه؟!.

وغيرها من الأسئلة الأخرى المتعلقة بأدق أسرار أي زوجين.. هذا الوغد.. هل لأنه يمسك مسدسا بيده سيظن أن هذا يعطيه الحق بطرح أسئلة كهذه؟؟!!.. بالطبع لم أرد على أسئلته.. بل رحت أتوسل إليه دون توقف أن يخرج ويتركنا في حالنا.. ولو كان ما بينه وبين زوجي مشكلة تتعلق بالمال فأنا مستعدة أن أدفع له أضعاف ما يريد كي يتركنا وشأننا!!!.. مع قسم ووعود بالطبع أنني لن أخبر الشرطة بشيء.. لكنه ظل يهز رأسه نفيا بإصرار.. وهو يقول بحزم وكبرياء شديدين:

- الأمر لا يتعلق بالمال.. ولست بحاجة لوعودك وقسمك كما أنني.....

قبل أن يكمل عبارته.. سمعنا طرقا خفيفا على الباب.. انتفضت بقوة.. هل.. هل عاد زوجي؟؟!!.. نهض القاتل من مكانه قلقا مسرعا ليرى عبر النافذة.. قبل أن يقول بهمس متوتر:

- زوجك لم يعد بعد.. لدينا زائر آخر هنا.

أمسك بذراعي بصرامة ونهض معي متجها إلى الباب وهو يهددني بالقتل إن نطقت بحرف.. نظر عبر العين السحرية للباب.. ثم طلب مني النظر بدوري كي أخبره بهوية الزائر.. فقلت بهمس متوتر وأنا أجد صعوبة في الوقوف بسبب الألم اللعين الذي عاد ليسيطر على قلبي المريض:

- هذا ابن شقيقتي.. إنه مجرد فتى في الـ13 من عمره.. أرجوك اتركه وشأنه.. أرجوووووك.

سألني هامسا دون أن يكترث لتوسلاتي:

- وهل يعرف أنك هنا؟!.

أجبته بالإيجاب وقلبي يتمزق ذعرا.. فمط شفتيه ممتعضا.. ثم قال بحذر:

- حسنا.. افتحي له الباب.. ولكن.. اطلبي منه الرحيل بسرعة.. أخبريه أنك ستخرجين بعد قليل.. سأقتلكما معا لو شعر بشيء.

وأمام الطرق المتواصل للباب.. لم نجد بدا من فتحه بالفعل.. فرحت أرحب بابن شقيقتي بحنان بالغ وكأنني سعيدة جدا كوني أرى وجها مألوفا.. فالتفت بدوره إلى القاتل مبتسما.. ونظر بعدها إلي مستفهما وجود هذا الرجل الغريب في شقتي.. تنحنحت.. ثم قلت بابتسامة مرتبكة محاولة السيطرة على أعصابي:

- آه.. هذا الدكتور (مشاري فهد الـ...).. إنه هنا لتسليمي بعض التحاليل الطبية.

نظر إلي ابن شقيقتي مستغربا.. فهذا الكلام لا يشفع وجودي وحيدة في شقتي مع رجل غريب دون شك!!!.. إنه يدرك هذا رغم صغر سنه.. إلا أنه مط شفتيه وكأن الأمر لا يعنيه.. وألقى تحية عابرة على القاتل الذي صافح ابن شقيقتي بترحيب كبير وحنان مفتعل.. وراح يسأله تلك الأسئلة المعتادة التي نسألها دائما للأولاد:

- في أي مرحلة دراسية أنت؟!.

و:

- هل تحب كرة القدم؟!.. ما هو فريقك المفضل؟!.

كان يفعل هذا وأنا أشعر بوهن شديد.. أشعر أن قلبي سيتوقف!!!.. لكنني بذلت جهدا خارقا بحق للسيطرة على نفسي كي لا أوقع ابن شقيقتي بالخطر.. ثم:

- المعذرة يا خالتي.. ولكن والدتي طلبت مني إيصال هذا الكيس لك.. إنه هدية اشترتها لك عندما قضينا إجازتنا في (بلجيكا).

قال هذا وهو يسلمني كيسا أنيقا.. فأخذته منه شاكرة.. ليردف بلطف:

- أرجو المعذرة.. سأذهب الآن لأن السائق بانتظاري في الخارج.

أذنت له بالذهاب.. فألقى التحية علينا وتركنا مودعا.. وعندما خرج.. لم أتمكن من الاحتمال أكثر.. وقعت على الأرض.. ورحت أبكي بحرقة وأنتحب.. هذا يفوق قدرتي على التحمل.. لا أستطيع تحمل ما يحدث لي.. هذا كثير علي.. يا إلهي.. أشعر بدوار شديد.. أشعر بضعف في جسدي!!!.. إنه التوتر والقلق والخوف.. هذه الأمور قاتلة بالنسبة لي.. إنني لم أشعر بالتوتر والرعب في حياتي كما أشعر بهما الآن!!!.. لن أصمد أكثر من ذلك.

وقعت واستلقيت تماما على الأرض.. ورحت أنظر إلى السقف بعين خاوية.. الآلام تشتد حتى تكاد أن تمزق قلبي.. يا إلهي.. سيموت زوجي.. وسأموت أنا على الأرجح.. لا أعتقد أنني سأصمد أمام هذه الانفعالات.. لا أصدق أن حياتي بأكملها ستنتهي بهذه الصورة!!!.

الهاتف يرن مرة أخرى.. لكن القاتل ينظر إلي لا مباليا ويده ممسكة بالمسدس.. وكأنه يهددني بالقتل إن حاولت الرد.. موعد عودة زوجي يقترب.. وهذا الوغد يجهز مسدسه ويسترق النظر عبر النافذة بين لحظة وأخرى.. لا أحتمل هذا التوتر.. لا أحتمله أبدا.. إنني أشهق.. أفارق الحياة شيئا فشيئا!!!.. أسمع القاتل يهتف بانتصار:

- ها هو الوغد!!!.. لقد عاد زوجك.. سأقتله الآن!!!!.

أراه يتأكد من مسدسه للمرة الألف.. ويقف مواجها للباب كي لا يعطي الفرصة لزوجي للتصرف عند دخوله الشقة.. يفعل كل هذا وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة.. إن لحظات حياتي تمر بأكملها أمام عيني

الآن.. هذا ما يقوله بالفعل كل من اقتربوا من الموت ونجوا.. الفارق أنني لن أنجو.. إنني عاجزة حتى عن الصراخ كي أنقذ زوجي على الأقل.

إن روحي تخرج من جسدي.. كنت أتوقع هذه النهاية يوما ما.. إن أحدا مصابا بمرض كهذا لا يمكن أن يعيش طويلا.. فالتوتر والقلق والرعب قادمون إن عاجلا أم آجلا.. لكني لم أتوقع أن أموت بسبب قاتل جاء إلى شقتي ليقتل زوجي.. لقد قرأت في أحد الكتب أن المخ البشري يفرز مادة اسمها (الإندورفين) في المخ أثناء الاحتضار.. وهذه المادة تسبب حالة عامة من الراحة والنشوة.. لقد خلق الله للمخ البشري القدرة على تخدير نفسه في لحظات الألم الجامحة.. الحمد لله.. على الأقل أنا أودع الحياة دون ألم.. إنني أموت.. إنني أمووووت.. أمووو........

عزيزي القارئ.. إن قصتنا لم تنتهِ عند هذا الحد.. وما ستعرفه الآن.. لم تعرفه بطلة قصتنا بطبيعة الحال بعد وفاتها مع الأسف.. فبعد أن لفظت المسكينة أنفاسها الأخيرة.. راح القاتل يتأكد من موتها.. وبعدها بدقائق.. دخل زوجها بالفعل.. ليقول بحذر:

- هل.. هل تأكدت من موتها؟؟؟!!!

يرد القاتل بثقة وبابتسامة عريضة:

- لقد نفذت ما طلبته مني بالحرف يا سيدي.. جعلتها تشعر بالقلق والرعب إلى أن توقف قلبها.. فأشرت لك من النافذة كي تدخل..

رد الزوج بارتياح:

- كان هذا الحل الوحيد لقتلها كي أبعد الشبهات عن نفسي!!!.. أن تموت بصورة طبيعية بسبب قلبها الضعيف في الوقت الذي أكون فيه خارج الشقة.. وبوجود شهود.. هم زملائي في الكلية بطبيعة الحال.. لقد أديت دوري بصورة رائعة عندما اتصلت بزوجتي أكثر من مرة وأنا أبدي قلقي عليها أمام زملائي كونها لا ترد على اتصالاتي.. ثم استأذنتهم الخروج كي أطمأن عليها.

سكت قليلا.. ثم أردف مبتسما وهو ينظر إلى القاتل:

- الأمر يسير كما خططنا له تماما.. هذا رائع.. حسنا.. فلتخرج الآن حتى أتصل بالإسعاف.. فأمامي أياما طويلة من التحقيق والبكاء واللوعة المصطنعة كي تمر الأمور بصورة طبيعية وأرث بعدها الأموال الهائلة التي تمتلكها زوجتي.. لقد كسبت صفقة العمر.. لا تنسَ الآن أن تختفي من حياتي نهائيا.. فالشرطة لن تصل إليك لأن أحدا لا يعرف أصلا أن هناك أي صلة بيني وبينك.

قال الزوج هذا الكلام.. وناول القاتل مظروفا ممتلئا بالمال ثمنا لارتكابه جريمته.. ولكن.. الأمور لم تنتهِ بهذه الصورة أيضا لحسن الحظ.. فقد كانت هناك مفاجأة رهيبة بانتظار الزوج والقاتل معا!!!.. إذ طرق أحدهم باب الشقة بعنف وبشكل مفاجئ.. وقبل أن يستوعب الزوج والقاتل الأمر.. اقتحم رجال الشرطة الشقة!!!.. كان برفقتهم ابن شقيقة الزوجة ووالده.. لم يكن الأمر عسيرا لمعرفة ما حدث.. فمع المظروف الممتلئ بالمال.. ومع وجود الزوجة ملقاة على الأرض وقد فارقت الحياة.. تم القبض على الزوج والقاتل.

لقد أقدمت الزوجة على تصرف ذكي للغاية.. عندما قامت بتقديم القاتل لابن شقيقتها على أنه الدكتور (مشاري فهد الـ...).. هل تذكرون؟؟!.. لقد ظن القاتل أن الزوجة قد قامت باختلاق الاسم.. لكنه في الواقع اسم زوج شقيقتها!!!.. لحسن الحظ أن الفتى كان ذكيا فعلا.. وعرف أن هناك أمرا ليس على ما يرام عندما قدمت له خالته القاتل بهذا الاسم.. وكأنها تعطيه إشارة أو تحذير ما.. فلا يمكن أن تتشابه الصدف إلى هذا الحد وأن يكون اسم الزائر الثلاثي كاسم والده تماما.. وهذا ما حدا بابن شقيقتها للتصرف بذكاء رغم سنه الصغيرة.. فأبلغ والده بالأمر.. والذي تصرف بدوره بشكل جيد.. عندما اتصل بالشرطة وجاء برفقتهم.. ليقتحموا الشقة ويقبضوا على الزوج والقاتل.

لقد ماتت المسكينة.. لكنها لم تمت عبثا لحسن الحظ.. فقد اقتص لها ابن شقيقتها وساهم بصورة كبيرة في القبض على زوجها وعلى القاتل.. و.. هكذا انتهت أحداث هذه القصة العجيبة بمشاهد صامتة.. لكنها بليغة.. تماما كما يحدث في الأفلام!!!.. سيارة إسعاف.. دوريات شرطة محتشدة عند الشقة.. جثة امرأة.. قاتلين.. رجال البحث الجنائي.. أعين الجيران المذهولة المتسائلة.. أحداث شائكة مريبة معقدة.. بدأت وانتهت كلها في يوم واحد فقط.. في ذلك اليوم!!!.

((تمت))

انهيار..   «قصة قصيرة»

عندما سافرت مع زوجي لقضاء شهر العسل في إحدى الدول العربية.. كنت -كأي عروس- أشعر أن الحياة قد ابتسمت لي إلى الأبد.. وأنني قد عثرت أخيرا على فارس الأحلام الذي نقرأ عنه دائما في القصص الرومانسية.. بالطبع لم أكن أعلم أنني سأعود من شهر العسل أرملة!!!.. كان هذا يفوق تخيلي.. يفوق إدراكي.. بل يفوق أقسى كوابيسي.. نعم.. جميعنا سنموت يوما.. لكن يستحيل أن يمر الموت بذهن أحد منا في شهر العسل تحديدا.. خاصة وأن زوجي لم يمت هناك فحسب.. بل تعرض للقتل!!!.. تصوروا هذا.

بدأت القصة في الشقة التي استأجرها زوجي لنا لقضاء شهر العسل في تلك الدولة العربية كما علمتم.. وفي وقت متأخر من إحدى الليالي.. حين استيقظت على صوت جلبة خفيفة جدا في صالة الشقة.. لكنها لحسن -أو ربما لسوء- الحظ.. كانت كفيلة بإيقاظي.. شعرت بتوتر شديد.. فأيقظت زوجي بصوت هامس وكأنني أخشى كسر هيبة الظلام:

- استيقظ.. أرجوك.. لقد سمعت صوتا مريبا قادما من صالة الشقة!!!.

استيقظ زوجي من نومه.. وتطلب الأمر ثواني قليلة قبل أن يستوعب ما يحدث.. ثم ابتسم بتوتر وبعين ناعسة.. وراح يطمئنني ألا أخشى شيئا.. وأن الصوت ربما قد صدر من قطة قفزت إلى الشرفة.

نهض من الفراش ليستكشف الأمر.. فلحقت به بإصرار كوني لا أريد أن أبقى وحيدة في الغرفة.. كنت ممسكة بيده بقوة.. مختبئة خلف ظهره كما تفعل النساء جميعا في تلك الظروف.. بينما راح هو يبتسم بشيء من التوتر ويحاول طمأنتي أن الأمور ستكون على ما يرام.. قبل أن نصطدم معا بوجود لص في صالة الشقة!!!.. نعم.. لص يحمل حقيبة صغيرة ويرتدي ثيابا سوداء تخفي كل شيء.. حتى وجهه.. فبدا تماما كاللصوص الذين نراهم في الأفلام.

تصلبنا في مكاننا لثوان قليلة توقفت فيها أنفاسي تماما.. قبل أن يتصرف زوجي بجرأة يحسد عليها.. ليقفز على اللص بصورة مفاجئة.. فاشتبك الاثنان.. وراحا يتبادلان الضرب والركل.. أما أنا فقد تسمرت في مكاني وعجزت تماما عن التصرف ومساعدة زوجي.. كم ألوم نفسي على هذا!!!.. آآآه.. يا لها من ذكرى مريرة!!!.

المهم أن زوجي نجح بإزالة القناع عن اللص أثناء الشجار.. الأمر الذي أصابه بالجنون.. وجعله يقدم على تصرف مفاجئ.. عندما أخرج من جيبه مطواة مخيفة الشكل.. وغرسها بكل قوته في معدة زوجي الذي جحظت عيناه وراح ينظر إلى أبعاد أخرى بذهول.. وكأنه لم يتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد.. ليتوقف فجأة عن الحركة.. ويسقط على الأرض وهو ينزف بغزارة!!!.. عندها فقط.. نهض اللص ليخرج هاربا مذعورا من الشرفة.

لا يوجد الكثير ليقال عما حدث بعد ذلك.. إنه الأمر المعتاد في تلك المصائب.. بكاء وصراخ وعويل وانهيار أيقظ الجيران.. ثم تحقيقات الشرطة حول الجريمة.. حيث قمت أثناءها بصوت باك مرتجف

منهار أخبرهم بأوصاف اللص التي حفرت في ذهني إلى الأبد.. فيستحيل أن أنسى تفاصيل الوغد الذي قتل زوجي أمام عيني!!!.

لقد بدا واضحا أن القاتل اقتحم شقتنا من الشرفة بهدف السرقة.. وربما لم يتوقع أن نستيقظ ونكشف وجوده.. ربما أيضا لم يتوقع أن تتطور الأمور وأن يهجم عليه زوجي ليشتبك معه!!!.. الأمر الذي أربكه كثيرا وجعله يرتكب جريمته دون تفكير.. هذا ما قاله رجال الشرطة.. ولا أنسى بالطبع قدوم شقيقي من (الكويت) في اليوم التالي مباشرة كي يقف بجانبي في غربتي.. وليقوم أيضا بإجراءات نقل جثمان زوجي إلى أرض الوطن.

عدت بعدها إلى (الكويت) منهارة تماما.. عدت أرملة بعد زواجي بأقل من شهر!!!.. بالطبع كنت في حالة نفسية لا توصف.. وعلى وشك الإصابة بانهيار عصبي.. فلم أكن أفعل سوى البكاء.. ثم الهدوء قليلا.. ثم البكاء.. والصراخ أحيانا.. لم يكن الأمر مرتبطا بمقتل زوجي فحسب.. بل بمشاهدتي لجريمة قتل تحدث أمام عيني.. إنه أمر مخيف.. مخيف جدا.. أن ترى أحدهم يتلقى طعنة في معدته لتفور منها الدماء.. ثم يفارق الحياة أمام عينيك المذعورتين.. خاصة لو كان هذا الشخص أقرب الناس إليك.

المهم أنني عند عودتي إلى (الكويت) لم أكن مهتمة كثيرا في القبض على القاتل.. كنت أريد نسيان ما حدث فحسب.. فأنا في بلدي الآن.. وبعيدة تماما عن المكان الذي جرت فيه تلك الأحداث الرهيبة.. ولم أعد أريد شيئا سوى الانزواء في عالمي واعتزال كل شيء.. وهذا ما حدث بالفعل.. شهور طويلة من تلك الحادثة قضيتها كلها في البيت.. حيث نقص فيها وزني كثيرا وذبلت نظراتي وتغيرت ملامحي.. قبل أن أوافق أخيرا على الخروج مع شقيقاتي إلى مجمع (المهلب) التجاري بعد إلحاح شديد منهن.. وإصرارهن على أن أنسى الماضي.. وأن أحاول البدء من جديد.. وهذا صحيح إلى حد كبير بالطبع.. لكن.. ليس الأمر سهلا على الإطلاق.. فنحن لا نشهد جرائم قتل أزواجنا كل يوم!!!.

إلا أنني في النهاية.. رضخت لإلحاح شقيقاتي.. وخرجت من البيت لأول مرة منذ تلك الحادثة المشؤومة.. بعد أن ارتديت ثيابا أنيقة ووضعت بعض مساحيق التجميل على وجهي محاولة أن أمحو ملامح الحزن التي نقشت عليه مؤخرا.

خرجنا أخيرا إلى مجمع (المهلب) التجاري.. وأمضينا هناك بضع ساعات في أحد المقاهي.. فكانت شقيقتي الكبرى تمرح وتحاول أن تخلق جوا من الضحك مع باقي شقيقاتي.. و.. شيئا فشيئا.. وجدت نفسي أندمج معهن.. فبدأت بالابتسام.. ومن ثم الضحك.. حتى شعرت بأنني في طريقي لنسيان كل ما حدث.

هذا بالطبع قبل أن يحدث أمرا مريبا كان وقعه علي كانفجار قنبلة في المكان!!!.. عندما التفت لا شعوريا إلى اليسار.. لأرى رجلا يجلس وحيدا على إحدى الطاولات في نفس المقهى وبمسافة قريبة نسبيا مني.. لم أصدق عيني في بادئ الأمر.. إذ رحت أحدق به بشكل واضح يلفت الانتباه.. قبل أن أسمع إحدى شقيقاتي تقول بشيء من الخجل:

- لا تحدقي به بهذه الصورة الواضحة!!.

لكني لم أستمع إليها.. شعرت أن هناك حاجزا ضخما أحاط بي فصرت عاجزة عن سماع أي صوت.. وأن أنفاسي نفسها توقفت وأنا أنظر إلى هذا الرجل.. إنه هو.. هو دون أدنى شك!!!.. لا يمكن أن أنسى ذلك الوجه الذي طاردني في كوابيسي طوال الشهور السابقة.. إنه ذلك اللص القاتل الذي اقتحم شقتنا في تلك الدولة العربية.. هو بكل تأكيد.. كان ينظر إلي مبتسما وكأنه يقول:

- لقد التقينا أخيرا!!!!.

لم أحتمل.. صرخت بقوة.. صرخت برعب هائل أمام ذهول الناس.. ووقعت أرضا فاقدة الوعي!!.. لا أعرف ما حدث بعدها.. لكني استيقظت ووجدت نفسي في السيارة.. بين شقيقاتي اللاتي بلغ عندهن التوتر مبلغه وهن يحاولن إفاقتي بعد أن قمن بحملي إلى السيارة بمساعدة الناس.. كانت شقيقتي الكبرى في طريقها إلى المستشفى.. لكني أشرت لها بوهن شديد أن لا داعي لهذا وأنني بخير!!!.. كنت أحتاج دقائق قليلة كي أتدارك نفسي وألتقط أنفاسي حتى أخبرهن بما حدث.. عندها فقط تمكنت من الحديث.. قلت بكلمات مضطربة مرتجفة:

- إنه هو!!!.. القاتل!!!.. لقد رأيته في المجمع.. أنا واثقة أنه هو.. كان جالسا بقربنا في المقهى.. يحدق بي وينظر إلي مبتسما بخبث كأنني وقعت في شركه أخيرا.

كان لكلامي هذا وقعا هائلا على شقيقاتي.. وتسبب الأمر بموجة من القلق والتوتر في السيارة.. وعند عودتنا إلي البيت.. أخبرت شقيقي بما حدث.. فأخذني إلى مخفر (حولي) عازما على تقديم بلاغ حول وجود القاتل هنا في (الكويت).. كان طوال الطريق يقسم ويتوعد ويلوم المسؤولين على ترك القتلة واللصوص يدخلون البلد دون حسيب أو رقيب!!!.. و.. بالطبع مررنا بالإجراءات المعتادة في المخفر.. فأعطيتهم أوصاف المجرم.. ورويت لهم تفاصيل ما حدث دون استثناء.. منذ اقتحام ذلك اللص لشقتنا في تلك الدولة العربية.. إلى رؤيته هنا في (الكويت).. هل كان يطاردني؟؟!!.. بكل تأكيد.. فعندما رآني.. لمحت ابتسامة الانتصار في ملامحه.. وكأنه عثر علي أخيرا بعد بحث طويل.. كان واضحا أنه سعيد لرؤيتي.

ولكن.. لماذا يطاردني؟!.. وكيف تجرأ على المجيء إلى بلدي؟!.. ماذا يريد بالضبط؟!.. وكيف عرف أنني كويتية أصلا؟!.. لا أعرف.. حقا لا أعرف.. أسئلة كثيرة لا إجابة لها كما ترون!!!.

لم تنتهِ الأمور عند هذا الحد بالطبع.. فقد رأيت الوغد مرة أخرى بعد أيام قليلة من تلك الحادثة!!!.. أثناء قيادتي لسيارتي وحيدة متجهة إلى بيت شقيقتي الكبرى.. تخيلوا هذا؟؟!!.. كان يطاردني هذه المرة بكل وقاحة!!.. عندما لمحته من مرآة سيارتي وهو يقود سيارة (هوندا) حديثة نسبيا.. لقد كان هو!!!.. هو دون شك.. لكني أردت التأكد أكثر.. فخففت من سرعة سيارتي والتوتر عندي بلغ ذروته.. ليضطر بدوره إلى الانحراف والذهاب إلى جانبي.. التفت ناحيته.. ليلتفت بدوره مبتسما!!!!.. ماذا يريد هذا اللعين؟!.. كيف وصلت به الجرأة لمطاردتي بهذه الصورة الوقحة؟!.. هل أتصل بالشرطة؟!!.. إن حقيبتي موجودة على الكرسي الخلفي.. يجب أن أتوقف على جانب الطريق كي أتمكن من الوصول إليها.. ويجب أن ألتقط رقم السيارة أيضا.. هذا ضروري للغاية.

خففت من سرعة سيارتي أكثر.. كي تصبح سيارته أمامي.. ثم.. نعم هذا هو رقم السيارة.. يجب أن أحفظه.. رحت أردده بسرعة بيني وبين نفسي كالمجنونة.. ثم أوقفت السيارة على جانب الطريق.. وانحنيت بسرعة لأخرج هاتفي النقال من حقيبتي وأسجل عليه رقم السيارة بسرعة خوفا أن أنساه.. وبعدها.. اتصلت بالشرطة مباشرة.. نظرة سريعة إلى الأمام.. اللعنة لقد توقف ذلك المجرم أمام سيارتي.. لم أنتبه لهذا سوى الآن.. مهلا.. إنه ليس في سيارته.. أين ذهب؟؟!.. طرقات خفيفة على نافذة الباب الجانبي لسيارتي.. ارتجفت بذعر.. لم أجد الوقت لأقفل باب السيارة.. فقد فتح الباب وجلس بجانبي بكل هدوء.. تخيلوا هذا!!!.

لم أتمكن من الصراخ.. بل جف حلقي تماما وتجمدت أطرافي.. و.. قبل أن ينطق بحرف.. تداركت نفسي بسرعة.. وضربته بكل قوتي بحقيبتي التي كانت تحوي بعض البروز.. فجاءت الضربة مؤلمة وأصيب بجرح بالغ في جبهته التي بدأت بالنزيف.. ليصرخ بجنون:

- أيتها الحقيرة.. أيتها اللعينة!!!.

فانحنى ناحيتي وأمسك برقبتي بقوة وهو ينظر إلي بعينين تقطران كراهية.. لكني ضربته على رأسه في موضع الإصابة مرة أخرى وأخرى إلى أن ترنح وسقط بكل ثقله علي فاقدا الوعي!!!.. دفعته بجنون.. وانحنيت لأفتح الباب.. ثم ركلته بقدمي وأنا أصرخ بهلع كي أخرجه من سيارتي!!!.. إلى أن وقع على الأرض والدماء تخرج من رأسه دون توقف.

انحنيت مرة أخرى بسرعة لأغلق الباب.. وأضغط بعدها على دواسة الوقود وأنطلق بسيارتي وأنا أصرخ وأبكي بحرقة بعد أن شعرت أن أعصابي انهارت تماما.. وأن ما رأيته كفيلا بإصابتي بكل العقد والأمراض التي يعرفها قاموس الطب النفسي!!!..

بالطبع أبلغت شقيقي بكل ما حدث.. وبالطبع أيضا صعق مما سمع وأخذني غاضبا إلى الشرطة مرة أخرى.. فأعطيتهم رقم سيارة القاتل ومكان وقوع الحادثة.. ولكن.. عندما قام الضابط بإرسال دورية إلى مسرح الجريمة.. لم يكن هناك شيء سوى آثار لبعض الدماء.. يبدو أن المجرم استعاد وعيه سريعا وهرب بسيارته.. هذا ما بدا للجميع.

جلست في غرفة التحقيقات مع شقيقي.. ورحت أعيد للضابط ما حدث أكثر من مرة.. فتم تسجيل القضية.. ووعدنا بالاتصال متى ما قبضوا على القاتل.. كما وعدنا ببذل كل جهودهم وأنه لن يسمح لهذه الحادثة أن تمر مرور الكرام بعد أن أصبحت حياتي مهددة بشكل واضح.. وبالطبع لم تكن تلك الوعود كافية.. لقد تمكن القاتل من معرفة هويتي.. ووصل إلى بلدي.. وأخذ يلاحقني.. فالأمر ليس بتلك البساطة كما يحاول الضابط أن يبين لي!!!.

كنت صامتة تماما في السيارة مع شقيقي متجهين إلى البيت بعد تلك الليلة العصيبة.. فقام بتشغيل الراديو على محطة الأغاني كي يزيل بعض التوتر المسيطر على حياتنا مؤخرا.. لكن هذا لم يغير شيئا بكل تأكيد.. كنت أشعر أنني تائهة.. خائفة.. قلقة.. منهارة.. لقد رأيت في غضون شهور قليلة ما لم تره فتاة في حياتها!!!.. هذا يفوق قدرتي على التحمل.. بل ويفوق قدرة كل إنسان.

عندما عدنا إلى البيت.. أخذتني شقيقتي الصغرى إلى الفراش.. وأقسمت بأنها ستنام في غرفتي هذه الليلة ولن تتركني وحدي كي تشعرني ببعض الاطمئنان.. لم أعترض على كلامها.. بل كنت بالفعل بحاجة ماسة إلى الصحبة الآدمية.. فقد اهتزت ثقتي بكل شيء وصرت أشعر بعقدة مزمنة من عدم الإحساس بالأمان.. ولا أعتقد أنني ألام على هذا.

راحت شقيقتي بعد ذلك تطمئنني وتؤكد لي أن الأمور ستغدو على خير حال في النهاية.. وأن رجال الشرطة سيلقون القبض على القاتل بكل تأكيد.. خاصة وأنه وافد من جنسية عربية.. ولن يكون من العسير معرفة الذين دخلوا البلد مؤخرا.. بالطبع كان كلامها يحمل الكثير من المنطق.. مما أشعرني ببعض الراحة.. قبل أن يحدث تطورا جديدا في قصتي هذه.. تطورا مخيفا!!!.

فعندما استغرقت شقيقتي الصغرى في النوم.. كنت بدوري ساهرة مستلقية على الفراش وقد فارقني النوم تماما.. أفكر بما حدث في الشهور الأخيرة وكيف تغيرت حياتي تماما.. وأتذكر زوجي الحبيب فأبكيه بشدة.. وأتذكر تلك الليلة المشؤومة.. وأشعر أنني محظوظة بنجاتي من ذلك القاتل.

ظللت غارقة في خواطري تلك قبل أن أشعر بالملل من وجودي على الفراش دون أدنى شعور بالنعاس.. فقررت النهوض والذهاب إلى صالة البيت لمشاهدة التلفزيون.. ذهبت إلى الصالة بعينين مرهقتين ووجه شاحب.. قبل أن أجد أحدهم جالسا في الصالة يشاهد التلفاز.. هل هو شقيقي؟!.. لا.. لا يبدو كذلك!!!!.. إنه رجل آخر.. شعرت بقشعريرة تغزو عمودي الفقري.. فبات جسدي يرتجف بالكامل.. تقدمت ببطء شديد ناحية ذلك المجهول الجالس في صالة البيت.. أحاول أن أتبين ملامحه.. و.. نعم.. هو ما تتوقعونه تماما.. إنه القاتل!!!.. القاتل نفسه.. يا للهول.. إنه جالس في بيتنا بكل بساطة وكأنه أحد أفراد العائلة.

ظللت أحدق به للحظات بدت لي دهرا بسبب وقع المفاجأة.. في حين ظل هو جالسا في مكانه ينظر إلي تلك النظرة الساخرة البغيضة.. ثم.. تداركت نفسي أخيرا.. فصرخت كما لم أصرخ من قبل.. أفرغت كل الخوف والقلق والرعب الذي أصابني طوال الشهور الماضية بتلك الصرخة التي شقت سكون الليل.. لأنتبه إلى المنضدة التي تتوسط الصالة.. وإذا بسكين كان هذا الوغد قد استخدمها لتقشير البرتقال.. هل يعقل أن يتصرف بهذه الثقة وكأنه في بيته؟!.. هذا لا يصدق.. لا يصدق.. أمسكت بالسكين.. وأفرغت كل كراهيتي لذلك الوغد عندما طعنته بكل قوتي.. طعنته حتى استقرت السكين في بطنه.. تماما كما فعل الحقير بزوجي.

راح ينظر إلي مذهولا.. ومعدته تنزف دون توقف.. لقد.. لقد ثأرت لزوجي الحبيب بنفسي.. ثأرت له أخيرا!!!.. وأمام نظراتي المنتشية.. سمعت فجأة صراخا وعويلا لم أفهمه.. نظرت خلفي.. شقيقاتي يصرخن برعب هائل.. وشقيقتي الصغرى تصرخ وتولول:

- أيتها المجنونة.. لقد قتلتِ شقيقنا.. ماذا فعلت؟؟!!.. ماذا فعلت؟؟!.

نظرت إلى القاتل.. ونظرت إليهن بدهشة بالغة!!!.. إنني لم أقتل شقيقي.. بل القاتل.. القاتل الذي اقتحم شقتنا في تلك الدولة العربية والذي صار يطاردني في كل مكان.. بل ووصل إلى بيتنا أيضا!!!..

رحت أنظر إليهن وقد التففن حول القاتل يحاولن إسعافه.. وراحت إحدى شقيقاتي تتصل بالشرطة والإسعاف وتطلب من الجميع الحضور بسرعة.

بالطبع لم أفهم شيئا مما يحدث.. لكن رجال الشرطة اقتادوني إلى المخفر.. وراحوا يسألونني عن سبب قتلي لشقيقي كما يدعون.. فرحت أصرخ وأسألهم عما دهاهم.. لقد طعنت القاتل وليس شقيقي!!!!.. لكنهم لم يكترثوا لكلامي.. فسمعت الضابط يقول لزميله:

- أعتقد أنها تعاني من مشكلة نفسية!!.. لقد تعرض زوجها للقتل على يد أحد اللصوص أثناء شهر العسل.. وعندما عادت إلى (الكويت) باتت ترى ملامح القاتل على وجه العديد من الرجال.. لقد كادت مساء أمس أن تقتل أحد الشبان في وسط الطريق!!!.. فعندما ظن الشاب أنها تريد معاكسته.. نزل من سيارته وتوجه إليها.. لكنها ضربته بقوة على رأسه.. وراحت تصرخ بجنون لا مبرر له كما أخبرنا الشاب.. لقد أصيب المسكين بكدمات ونزف رأسه بغزارة.. لكن لحسن الحظ حدث كل شيء على أحد الشوارع العامة.. فأنقذه بعض المارة الذين شاهدوا ما حدث.. لقد كانت هذه الفتاة تصر على أن ذلك الشاب أيضا هو اللص الذي قتل زوجها.. واتضح أنه مواطن كويتي لم يسافر يوما إلى تلك الدولة العربية أصلا!!!.. وها هي الآن تقتل شقيقها مدعية أنه اللص الذي قتل زوجها.. أعتقد أن الطب النفسي ستكون له كلمة هنا!!!.

لم أفهم شيئا مما يحدث.. بل رحت أصرخ وأتهم الجميع بالجنون.. وأنهم يحيكون مؤامرة ضدي.. وتحول صراخي هذا إلى هلع في مستشفى الأمراض العقلية.. لأن القاتل كان ينتحل شخصية الطبيب!!!.. نعم.. يظهر أنه نجا من ضربتي له عندما جلس في سيارتي.. ويظهر أنه نجا أيضا عندما طعنته في معدته في بيتي.. رحت أصرخ.. وأصرخ!!!!.. أحذر الجميع منه بلا جدوى.. إذ أمسك أحد الممرضين يدي بقوة وغرس فيها حقنة ما.. نظرت إليه.. وإذا به القاتل أيضا.. كيف تمكن من انتحال شخصية الطبيب والممرض معا؟؟!.. كيف فعلها ذلك القاتل اللعين؟!.. كيف فعلها؟؟!!.. اللعنة.. هذه الحقنة.. إنها تؤثر على أعصابي.. سأنام.. سأنا......

((تمت))



متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنــــــاة

فهرس المحتويات..

تنويه..

زيارات ليلية.. «رواية»

إنهم يلاحقونني.. «قصة قصيرة»

في ذلك اليوم.. «قصة قصيرة»

انهيار.. «قصة قصيرة»

Notes

[←1]

(1) (أونريه بلزاك) (1799 - 1850) (Honoré de Balzac) كاتب وروائي فرنسي كبير ويعتبر مدرسة أدبية بحد ذاتها.. حيث عرف عنه الدقة الشديدة والإطالة في وصف شخصيات وأحداث رواياته.. وبصورة لا يمكن أن يتقبلها القارئ في وقتنا الحالي.

[←2]

(2) كلمة (قوطي) تعني حرفيا (جرماني).. وهو طراز معماري شهير وجد في غرب أوروبا في الفترة من القرن الثاني عشر وحتى السادس عشر.. إذ يمتاز هذا الطراز بالأقواس المدببة والأعمدة الطويلة والقباب، وقد تم استخدام تلك الكلمة لأول مرة في قصة (قلعة أوترانتو) عام 1760 للكاتب (هوراس والبول).. حيث كانت القصة مرعبة وكئيبة جدا كما وصفها كل من قرأها، ويعتبرها النقاد الميلاد الحقيقي لمفهوم الرعب القوطي الذي ترتبط قصصه عادة في البيوت القديمة والقلاع والنفوس المعقدة.

[←3]

(3) (كلمة منمنم تعني صغير جدا.. وعلى سبيل التحذلق أقول أن هناك فنا كاملا يطلق عليه اسم (فن المنمنمات).. وهو -باختصار- الفن الذي يتعامل مع الأشياء بالغة الدقة والصغر.. ومثال على ذلك ما قام به أحد الفنانين الروس عندما صنع نموذجا لزهرة داخل فراغ شعرة رأس آدمية.. تخيلوا هذا!!.. كما صنع فنان آخر مسدسا لا يمكن رؤيته إلا بعدسة تكبير ضخمة.. بل أن أحد فناني المنمنمات الصينيين قام بصنع شطرنج كاملا بلوحته وقطعه بحجم رأس الدبوس.. حتى أن رؤيته لم تكن ممكنة إلا تحت عدسات المجهر.. وبقي أن نذكر أنه تقام في (روسيا) معارض سنوية لفن المنمنمات تظهر فيها إبداعات أكثر إثارة للدهشة في كل مرة.

[←4]

(4) ديجافو (Déjà vu) لفظة فرنسية تعني (شوهد من قبل).. وهي ظاهرة يتعرض لها الكثير من الناس.. كأن تعيش موقفا ما وتكون متأكدا أنك تعرضت له سابقا وبكل تفاصيله الدقيقة على الرغم من أنك لم تتعرض له إطلاقا في واقع الأمر.. أو أن تزور مكانا تحسب أنك زرته من قبل على الرغم من أنك لم تزره في حياتك.. تقول إحدى النظريات أن سبب تلك الظاهرة هو خلل مجهول الأسباب يصيب الدماغ فيجعله يسجل في ذاكرتك -دون أن تدري- بعض الأحداث التي لم تحدث لك.. وإذا عشت تلك الأحداث مستقبلا.. ستظن أنك تعرضت لها من قبل.. ولا أحد يعلم في الواقع عن مدى صحة هذه النظرية.

[←5]

(5) اسم (شادن) يعني ابن الظبي.

[←6]

(6) الفوبيا هي الهلع أو الخوف المرضي.. فعندما تخشى شيئا ما على الرغم من أنك تعلم أنه لن يؤذيك.. فإن هذا ما يطلق عليه علماء النفس اسم (فوبيا).. وقد قام مجموعة من الباحثين بعمل دراسة مستفيضة لمعرفة أكثر الأشياء المسببة للفوبيا لدى الإنسان.. وتبين أن العناكب بمختلف أنواعها -حتى غير السام منها- تحتل المركز الأول.. ويليها مباشرة الخطابة أمام مجموعة كبيرة من الناس.. أو بمعنى آخر.. مواجهة الناس.

[←7]

(7) البارانويا: اضطراب من اضطرابات الشخصية.. وهو عبارة عن أفكار وأوهام وشكوك تصيب الإنسان مع سوء ظنه المستمر بالآخرين.. وغالبا ما تكون شكوكه تلك خاطئة.. ويتسم الشخص المصاب بهذا المرض النفسي بحساسيته الزائدة وتأويل أي موقف أو فكرة أو سلوك أو حركة تأويلا خاطئا.. وأن القصد منه سلوك عدواني تجاه الغير.

[←8]

(8)الكيوي هو أحد أنواع الطيور وحجمه أصغر من الدجاجة بقليل.. لكنه يختلف عن الطيور في كل شيء تقريبا.. فهو الطائر الوحيد الذي يملك شعرا بدلا من الريش.. بل أنه يموء كالقطة.. وينبح كالكلب.. وعندما يبني عشه فهو لا يبنيه فوق الأشجار أو بين الصخور كما تفعل جميع فصائل الطيور تقريبا.. بل يبنيه تحت الأرض على شكل خندق!!.. وعلى الرغم من أن هذا الطائر ليس أكبر الطيور حجما إلا أن أنثاه تضع ثاني أكبر بيضة حجما في عالم الطيور بعد بيضة النعامة.. إذ يبلغ طول هذه البيضة ما يقارب 12 سنتيمترا.. وأغرب ما في هذا الطائر من صفات على الإطلاق هي أن الذكر هو الذي يقوم بمهمة حضانة البيض إلى أن يفقس!!.

[←9]

(9) حقيقة مع الأسف.

[←10]

(10) مرض نفسي يميل المصاب به إلى تعذيب الآخرين بطرق مختلفة كالضرب المبرح أو العض أو الوخز بالأبر.. أو حتى بالشتم (كنوع من الأذى النفسي).. وكلمة (سادي) مشتقة من اسم (المركيز دي ساد) (marquis de sade) الذي عاش في القرن الثامن عشر.. و(المركيز دي ساد) هو كاتب فرنسي من الطبقة الارستقراطية في ذلك الوقت.. وكان كاتب ثوري وفيلسوف ومؤلف بنفس الوقت.. وقد أشتهر بمؤلفاته ذات المحتوى العنيف في الممارسات الجنسية، وربما أشهرها رواية (جوستين وجوليت).

[←11]

(11) القصة حقيقية بالطبع.

[←12]

(12) كل ما ذكر عن تجارب (الخروج من الجسد) (Out of Body Experience) محل جدل بين العلماء.

[←13]

(13) هاري هوديني (1874 - 1926) : ساحر أمريكي شهير لقبه البعض بـ(مبهر القرن العشرين) اشتهر بقدرته على فك الأصفاد والفرار من الأقفاص الحديدية، كما أفلح في الهروب من السجن الشهير (الكتراز) في تجربة شهيرة للغاية!!.. وقد مات بسبب تلقيه للكمة لم يكن مستعدا لها قبل أحد عروضه من قبل ملاكم أراد اختبار قدرة تحمل (هوديني)، فأصيب الأخير بانفجار المرارة، إلا أنه رفض الذهاب إلى المستشفى وأراد إكمال العرض الخاص به مما أدى إلى تدهور حالته وبالتالي وفاته في عام 1926.

[←14]

(14) كل ما هو مذكور عن هذا الكتاب حقائق مؤكدة.. واسم الكتاب بالكامل (Diamond Sutra).